

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٢٢٢٩٠ - ٥٣٥٥٥

الهرولة

مجلة أسبوعية للقصص والبرق

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثالث عشر ٢٤ جادى الأولى سنة ١٣٥٦ — أول أغسطس سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	الناثه	أفصوة مصرية	للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
٧٧٨	الغرفة المشتركة	لجون ماديسون	بقلم الأديب احمد فتحى مصطفى
٧٨٣	يوميات نائب فى الأرياف	صور مصرية	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٧٨٨	أجلافيين وسيليزيت	رواية تمثيلية لموريس ماترنك	بقلم الدكتور محمد غلاب
٧٩٥	طرق القدر	للكتاب الأمريكى أوهدرى	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى
٨٠٦	شجرة عيد الميلاد	لقيدور دستوفسكى	بقلم الأستاذ عبد الليف النشار
٨٢٤	اعترافات فتى العصر	لألفريد دى موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٨٢٩	الأوذنية	لهوميروس	بقلم الأستاذ درينى خشبة
٨٣٥			

الساعة

للمستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني

الوالد لما سمع بالفجيعة
التي أصابته أن يلتبس
من المحكمة أن تؤجل
قضاياه، فقبل القاضي وهو
مفتبط، وطمان الوالد
المتلطف ودعا الله أن يرد
إليه ابنه سالماً، وطوى
أوراقه التي كانت أمامه،

ونهر فما كان في المحكمة كلها من المحامين إلا اثنان
أو ثلاثة، وخرج مع المحامي وهو يرت له على ظهره،
ويقول له: «لا تقلق ولا تزعج... ستجده إن
شاء الله يلعب في البيت» وخرج وراءها أصحاب القضايا
وهم ينفخون ويهزون رؤسهم ولا يرون لهم حيلة
وفي الساعة الثانية عشرة عقدت الأسرة جلسة
بقيادة الوالد وعضوية الأم المنتجة والعمة التي
دعيت من بيتها على عجل، ونودي الشهود، فتقدمت
«حليمة» وقررت — من غير أن تحلف أي يمين
فإن الموقف لا يعقل فيه الكذب ولا يحتمل هذه
الاجراءات الطويلة — أنها رأت «سیدی فوزی»
في الصباح يفتح الخزنة ويخرج حق السكر ويسرق
منه قطعة. وكانت معه قطعة من الخبز الطازج
— فقد كانت الأسرة تمجن وتخبز كل يوم جمعة
ويوم اثنين — فصاحت الأم المسكينة: «ياريتنا
ما خبزنا ولا نيلنا... أناريه غطس ولا حد شافه...
ويأكل عيش وسكر؟ يا حبيبي يا ابني... خرج
من غير فطور... والوقت الضهر...»

فقالت العمة: «الله يهديك يا بنتي...»
تصبري... الصبر طيب»
وقال الأب: «حلمك يا أم فوزی... انتظري
علينا... خلينا نفهم الولد راح فين»

في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والعشرين
تماماً اختفى الطفل «فوزی» ولم يعد أحدهم يراه لا في
البيت ولا في الحديقة الواسعة ولا حول النافورة
أو فيها، ولا في الشارع. وفي الساعة العاشرة والرابع
بدأت أمه تسأل عنه بعد أن أعدت له الحمام على
عادتها كل يوم جمعة. وبعد ربع ساعة من السؤال
والاستفسار بلا جدوى انطلق الخادم المهرم «عم محمد»
وزوجته «حليمة» يبحثان عن فوزی ويسألان كل
صاحب دكان في الحارة هل رآه منهم أحد؟ وفي
أثناء هذا البحث العقيم كانت أم فوزی قاعدة على
آخر درجة من درجات السلم وكوعها على نغذها،
وذقها على كفها، والزفرات الحارار يعلو بها صدرها
ويهبط. وينفذ صبرها أحياناً فتضرب كفها بكف
وتقول: «مسكين يا ابني... يا ترى رحت فين
يا ابني... المسكينة أمك... أمك المسكينة...
بعد التعب وطول الغلب أخسرك مرة واحدة...
لو كنت مت كنت عرفت انت فين... كنت
أعرف أرضك وأروح أزورك...» الخ الخ

وفي الساعة الحادية عشرة عاد الرسول بأبي الغلام
المفقود من «بيت القاضي» فقد كان محامياً شرعياً
وكان «بيت القاضي» هذا هو دار المحكمة — بين
حي سيدنا الحسين وحي النحاسين — وقد اضطر

لا ينبغي أن يعول عليه ، وذكرت من أسباب قرارها أن المزامحة بين الجزارين هي التي أغرت الصبي بهذا الكلام الفارغ

وفي الساعة العاشرة مساء عاد فوزى إلى البيت تحمله جارية سوداء لامعة الجلد كالفتح « الكوك » وقالت إنها وجدته نائماً على عتبة بيتها فرق له قلبها وحملته فأدخلته وعالجت أن توقظه ، فلم تفلح ، فتركته حتى تغلب فمزته ففتح عينيه وسألته عن اسمه ولكن النوم كان يغالبه فلم يجيبها فاستشارت جارة لها فتفق لحسن الحظ أنها تعرف الغلام فدتها على أهله

ونضت عنه أمه ثيابه القذرة الملطخة وألبسته أخرى نظيفة وغسلت له رأسه فسال منها عيّل كثير ولم يستطع أحد أن يعرف أين ذهب الغلام ولا أين كان غائباً طول النهار وإلى ما بعد العشاء ، ولكنى كنت نده وكنا نلعب معا ولا نكاد نفترق فقص على ما يأتى وأوصانى ألا أبوح بالسر . فأنا أوصى القراء بمثل هذا السكتمان

وقد صحح لى شهادة الشهود أولاً فقال إنه لم يأخذ السكر لئلا يلهو بل ليحصه ، لأن أستانه مختلفة التبتة غير متدسقة وبعضها طويل والبعض قصير فالمر لهذا أسهل - وأحلى أيضاً - وقال إن الذى كان معه وهو يكلم صبي الجزار لم يكن ودعات وإنما كان خرزات ، وعجب للصبي كيف لا يعرف الفرق بين الودعة والخرزة . ولم يصدق الصبي فى قوله إنه ذهب إلى دكان الجزار الآخر ليكلم أحدا فما وقف أمام دكانه إلا لأن منظر الجزار وهو يفرم اللحم الأحمر سحره فلم يسمعه إلا أن ينظر ، وكان يتوقع فى كل لحظة أن تقطع السكين أصابع الرجل ، ولكن الأصابع كانت تدفع اللحم وتكومه للسكين الهاوية وتتق وقعها بمهارة عجبية ، وقد كان فوزى

وتقدم الشاهد الثانى « عم محمد » وكان رجلاً مغضض الوجه ، كما تبدو مباني المدينة للمخلق فى طيارة ، ولكنه قوى جلد يعرف المشى ولا يعرف الركوب ، ويحبب المدينة كلها على قدميه ولا يتأفف أو يتذمر ، ولا تراه قط إلا كالرمح أو الجندى فى الصف . ويظل طول النهار يعمل ، ويروح ويحجى ولا يكل ، ويقبل الليل فيخدم سيده فى المكتب حتى إذا صعد سيده إلى مسكنه - فقد كان المكتب فى البيت - تسلل « عم محمد » إلى « البوطة » المخفية ثم عاد يتطرح إلى غرفته فيرتجى فى أى مكان فيها إلى الصباح

وقال عم محمد : « أهو كان يلعب فى الجنيّة »

فسأله الأب : « هل رأيته يخرج ؟ » قال :

« آه ... وقف عند الجزار »

فسأله الأب : « وهل رأيته يعود بعد ذلك ؟ »

فقال : « أنا خرجت أقصى الحاجة »

فسأله الأب : « ماذا كان يصنع عند الجزار ؟ »

فقال الشاهد : « أنا عارف ... كان يكلم الصبي »

فدعى الصبي ، وكان يناهز التاسعة من عمره ،

ولكنه كان ممثلاً ضحياً ، وكانت رقبته غليظة ،

ورأسه لهذا يبدو كأنه مغروس بين كتفيه ، فغطت

السيدتان وجهيهما لما دخل عليهما الصبي

وقال الشاهد إن فوزى كان يريه ودعتين كانتا

معه وإنه بعد ذلك ذهب إلى دكان الجزار الذى فى

آخر الحارة . وهنا تبرع الشاهد برأى له فقال إنه

يعتقد أن ذاك الجزار خطف فوزى وأنه يخفيه ليذبحه

ويبيع لحمه للزباين باسم لحم ضأن مصغر . فصرخت

الأم واستعازت العمّة بالله ، وقالت يا حفيظ ، وطرده

الأب من الجلسة . ثم تشاورت المحكمة وقررت

ألا تأخذ بهذه الشهادة ، وإن كلام صبي الجزار

يسد به ، فلم يشك في أن هذا غسل لأنه رأى مثله في البيت فغافل الرجلين ومد يده بحفّة ورفع الغطاء ودس يده في الوعاء حتى بلغت العسل ثم راح يلحس وتكرر منه ذلك . ويظهر أنه أفرط فيه أو شغل بلحس العسل عن الحذر الواجب فقد فاجأ أحد الرجلين بزجر عنيف وكانت يده في ذلك الوقت في جوف « البلاصى » فانزعجها بسرعة وبلا حساب فخرجت ولكن الوعاء مال وسقط على الأرض فأريق العسل . وذهب فوزى يجري غير أن الرجل أدركه وعاد به وجعل يضربه ويشتمه ، ثم لم يكفه الضرب والشتم القبيح بل تناول بيده من العسل المراق على الأرض وزرع الطاقية عن رأس فوزى وجعل يسمح له شعر رأسه — أو يعجنه على الأصح — بالعسل المزوج بالطين والوحل . ثم مسح يديه في جلبابه وعلى وجه الغلام ورفسه فكبه على وجهه ، واراد إلى ما كان فيه من غير أن يفسل يديه اكتفاء بمسحهما على ثياب الفتى ووجهه

(ولم أستطع أن أفهم من فوزى كيف اتفق له ما سيحيى ، والظاهر أنه سار على غير هدى وأنه كان مشغولاً بما أصابه من هذا الجلف القاسى الذى ضربه ولوث له ثيابه ووجهه ورأسه بالطين والعسل على أنه فراغ لا يؤثر في الموضوع فليسه القارى ، بما شاء) وألقى فوزى نفسه في شارع لا عهد له به وكان الذى لفته إلى ذلك أنه سمع طبولاً تدق وأصوات مزامير — أى موسيقى — فتلقت وأنصت حتى استطاع أن يعرف مصدر الصوت فاتجه إليه وإذا بسرادق كبير تنبعث منه هذه الأصوات المنغرية تصحبها ضججات عالية وضحكات مقرقة وتصفيق وصفير وصيحات ، فأيقن أن ههنا شيئاً يستحق الرؤية وحاول أن يدخل من الباب ولكن رجالاً واقفين عليه منعه وانتهروه بعد أن طالبوه بقرش

وهو واقف ينظر ويعجب ، يود لو أن الجزار سمح له بالتدرب على هذه « اللعبة » وأعرب لى عن أسفه لأن أباه وأمه لا يسمحان له بلعبة تشبه هذا وكان يلبس جلباباً — جلاية — مخططاً وحذاءين ، وعلى رأسه « طاقية » مزركشة ، وكان في يده « عقلة » مما تتخذ منه الأقلام « البسط » التى يحتاج إليها أبوه في أعمال مكتبه وقد أعطاه إياها « عم محمد » — وقد نسى أن يفضي بذلك في شهادته أو لعله خاف أن يؤنبه سيده — فراح فوزى يتمشى ويدفع الحصى في طريقه طورا بقدميه وتارة بالعقلة وكانت عينه إلى الأرض فلم يلتفت إلى الطريق (يجب أن يلاحظ القارى ، أنى أنا الذى أقص الحكاية الآن لفوزى وأنى أحاول أن أجعلها مفهومة على قدر ما يتيسر ذلك) فلما تنبه أنى نفسه في حارة لا يعرفها فجعل يتلفت وشق عليه أن يكون قد ضل وأدار عينه في الرامحين والنادين لعله يعرف واحداً منهم أو عسى أن يعرفه منهم أحد فلم يوفق وكاد يبكي من الجزع ولكن عينه أخذت رجلاً يصنع أمام دكانه ما استطعت أن أفهم أنه ما يسمى « الخلاوة المحصية » وكان يحطها وهي مشدودة إلى عمود مركز في الأرض ثم يعود فيطويها ففتته هذا المنظر كما فتته منظر القصاب وهو يفرم اللحم ودنا من الرجل ووقف يتطلع إليه ثم حانت منه التفاتة فرأى ما هو أعرب وأولى بعنايته . ذلك أنه أبصر رجلاً ضخماً على وسطه فوطه مخططة وأمامه مرجل كبير يقلب فيه يديه ما أدركت أنه « الخلاوة الطحينية » فوقف مبهوراً ثم زاغت عينه بين الرجلين وأحس بريقه يجرى وشعر بعضه الجوع وكان ظهره إلى باب الدكان وكانت يده تعبت بالعقلة فضربت شيئاً استغرب صوته فأدار وجهه لينظر فإذا به يرى وعاء هو الذى تسميه « البلاصى » وعلى فيه أو — فتحت — لوف

على أقرب عتبة حتى يوقظه داخل أو خارج . فنهض
ويستأنف المشي وهو يفرح عينيه . ويكي أولاً يكي
— حسب الأحوال — حتى ارتدى على عتبة الجارية .
وهذا تصحيح آخر فقد حملته ودخلت به كما قالت
ولكنه لم يكن مستغرقاً في النوم كما زعمت ، فقد استيقظ
لما أحس بها ورآها تحمله على صدرها ، ويؤكد
فوزي أنه نظر بمؤخر عينيه إلى وجهها ، فلما رآه أسود
كالفحم خاف فأغمض عينيه وتظاهر بالنوم ، ووضعته
الجارية على حشية طويلة ودست تحت رأسه وسادة
ووقفت تتأمله وكان هو يحس عينها عليه وإن كانت
عيناه مغمضتين من الخوف . وقد كبر في وهمه أنها
ستأكله ، فلما هزته ليستيقظ أبى أن يفتح عينيه
وأصر على التناوم ولح في هذا العناد خوفاً وقلقاً .
وجعل بعد ذلك يلاحظها من حيث لا تشمر ويتبعها
بعينه وهي تروح وتجي . ولكنه نام أخيراً
— غلبه النوم لا يدري كيف على الرغم من الخوف
الذي كان يساوره فلما استيقظ سألته عن اسمه فأشفق
أن يذكر لها فحاورته وداورته وجاءته بشيء من
الحلوى وكان جائعاً فأكل فلما أحس ببعض الشبع
امتنع عن الأكل مخافة أن يكون في الحلوى سم
مدسوس كما سمع في القصص التي تقصها عليه
« حليلة » كل ليلة قبل أن ينام . وجاءت سوداء
أخرى فنظرت إليه ملياً ثم قالت له : « إنت مش
فوزي ابن الست أم فوزي ؟ » فلم يجب وأصر على
التبالة ، فأكدت السوداء الثانية أنها واثقة أنه فوزي
وقالت إن عمته ساكنة على مقربة من هنا وإنها
رآته مراراً يجي إلى عمته مع خادمته فلما سمع فوزي
كلام هذه الجارية بكى وقال : « عاوز أروح لعمتي »
فصاحت الجارية التي عرفتة : « شفتي ؟ . شفتي
بقي ؟ . عشان تصدقيني »
واتخذت من بكائه ومن رغبته أن يذهب إلى عمته

ولم يكن معه شيء من الفلوس . فارتد أسفاً كاسف
البال واغمرورقت عيناه بالدموع وعز عليه أن يحرم
هذه « الفرجة » التي يتمتع بها كل هؤلاء الذين هم
في السرادق من الأطفال مثله ومن الكبار أيضاً .
ثم جعل يعزى نفسه وراح يتمسح بالسرادق وبطل
من بين قطع الخيام الشدود بعضها إلى بعض ، فرأى
ملعباً مرفوعاً وعليه خيل تدور وتدخل في دوائر
كبيرة وتخرج منها إلى أخرى بعدها وتثب من
فوق ما يشبه المقاعد سوى أنها بغير ظهور ، فلم
يطلق صيراً على هذا الحرمان وظل يدور حول السرادق
حتى اهتدى إلى مكان يسعه أن يدخل منه — من
تحت الخيمة — وتمتع ساعة بالخيال الدائرة وبمنظر المهرج
الذي يلبس فوق رأسه « طرطورا » ويرتدي ثياباً
مرقعة مختلفة الألوان وعلى وجهه طبقات من الأبيض
في مواضع دون أخرى ، وبغير ذلك مما يجري هذا
المجري . وانفض السامر وانصرف التفرجون وهو
معهم أو بينهم وصار في الشارع مرة أخرى . وكان
الجوع قد ألح عليه ولا طعام معه ولا فلوس في جيبه .
وشعر أن قواه بدأت تنحور ، فلما مرت به مركبة
يجرها جوادان تعلق بها من الخلف فسارت به وراحت
وجاءت ولطف الله بالفتى فلم يشبه أحد إلى الحدودى
وإلا لكواه بالسوط الطويل . كما هي العادة . وأخيراً
وقفت المركبة في الموقف — وكان لحسن الحظ عند
بيت القاضي — فتركها فوزي ومشى بجري رجله
والجوع يعضه والنوم يغالبه

(وهنا غموض آخر في القصة وأحسب أن
السبب فيه أن فوزي كان يمشى وهو كما يقول الشاعر :
« مشاهد للأمر غير مشاهد » من فرط التعب ومن
إلحاح الجوع والتعاس عليه . وله العذر)

وقد قال لي إن بيت الجارية ليس أول بيت نام
على عتبته فقد كان يسقط من الأعياء والجوع فينام

ونام فوزى على كتفها وهي عائدة به إلى بيته وأهله، فلما نهض في صباح اليوم التالى ألقي نفسه على سرير المألوف فهل كان كل هذا حلاماً؟ كلا. فإن ثيابه «المسولة» هالك تذكره بما لقي في رحلته العجيبة. وهذا شعره لا يزال كلما غسلوه له يقطر عسلاً ولا يذكر فوزى أنه كان يحن إلى البيت أو إلى أمه أو أبيه. وكل ما كان يحسه هو الجوع والتعب. وقد علمته هذه التجربة شيئاً هو ألا يخرج قط من البيت — يجاوز عتبة — إلا إذا كان معه فلوس. إذ من يدري؟ فقد يضل مرة أخرى فيجوع فماذا يصنع بغير فلوس.؟؟

وقد كبر فوزى وصار رجلاً ولكنه لم ينس هذه التجربة ولا الدرس الذى حدقه فى السادسة من عمره منها فإذا لقيته فى الطريق فثق أن معه ما يكفيه للطوارئ. وأنت وذمتك

إبراهيم عبد القادر المازنى

دليلاً على صدق فراستها. وقد تكون عمته هذه فى آخر الدنيا ولكن رغبة الصبي فى رؤيتها كانت حسب الجارية دليلاً على صحة رأيها. وكثرت الجوارى فى البيت واجتمع على فوزى ظلام الليل وظلام وجوههن، ولكن هذا لم يفزعه فقد راقه بياض أسنانهن وبعض الحمرة فى عيونهن — من أثر البوطة وفعلها على الأرجح فقد كان شربها شائعاً بين الجوارى فى ذلك الزمان — وكان لفطهن عظيماً وكن جميعاً يتكلمن ولا يبدو أن واحدة منهن تصنى إلى ما يقال أو تعنى بغير ما تقول هى، ولم يكن هو يفهم شيئاً من كلامهن لشدة الضوضاء ولعجزه عن متابعتهم ولغرابة لهجتهم أيضاً. وأخيراً انتهى المؤتمر الأسود فخرج جميعاً إلا صاحبة البيت فقد عادت من توديعهم وقالت له: «تعال يا حبيبى» وحملته على كتفها وهو يعجب أين يأتري تريد أن تذهب به، ويدعو الله فى سره ألا تذهب به إلى الجزار

الفلاح المصرى يزرع القطن

والعامل المصرى يغزله وينسجه

فالقطن ثروتكم وهو فخركم

أعدته لكم منسوجات لا تقارن فى جودتها

شركة مصر للغزل والنسيج

اشتروا ما يلزمكم من

شركة بيع المصنوعات المصرية

كوميديا في فصل واحد

الخريف المشترك

لكتاب الانجليزى جون ماديسون
بقلم اديب محمد فتحى مرسى

السيدة بنسر ولا شك..

تفضلي ياسيدتى

(تدخل السيدة بنسر)

السيدة بنسر - انعم

صباحا يا ماستر كوكس...

آمل أن تكون قضيت

نومة هائلة

كوكس - كلا .

لا يمكننى أن أقول إنى

فعلت ... فقد كان

الفراش قلقا نائياً فأرجو أن تبحثى عن فراش ألين وأوثر

السيدة بنسر - إنى أفعل كل ما فيه راحتك

ياسيدتى .

كوكس - إذن احلى لى هذه المرأة قليلا حتى

أصف شعري هذا من جهة ، ومن جهة أخرى

لا أعلم لماذا يتناقض فحوى بهذه السرعة

السيدة بنسر - ماذا تقول ياسيدتى ؟

كوكس - وكذلك الزيت والسكر

السيدة بنسر - أظن أنى أسرقها ؟

كوكس - كلا .. كلا .. لا أظن هذا ...

ولا أظن أيضاً أن القطة سرقها . قد تسرق القطط

اللبن ، ولكن لا أظن أنها تسرق الفحم لتسخن اللبن ،

أو السكر لتضعه فيه ... ومن جهة أخرى كثيراً

ما أجد جو الغرفة ملبداً بالدخان عندما أعود فى

مغرب الشمس

السيدة بنسر - آه ... هذا دخان المدفأة

كوكس - كلا .. كلا لا أعنى هذا النوع ..

أدخين التبغ

السيدة بنسر - كلا ألبتة ...

« تقيم السيدة (بنسر) فى منزل صغير

تستغل حجراته المؤتمنة بالاعجار لتقيم أودها »

وأحد مستأجرىها وهو السيد جون بوكس

رجل ذو غفلة ، فهو يمضى ما بين أطراف الليل من

عمله ويعود عند انبلاج الصباح تاركا حجراته طوال

الليل تنى من بناها ... وقد استغلت السيدة بنسر

هذا الظرف فراحت تؤجر الحجرة لرجل آخر وهو

السيد كوكس رجل شاذ الخلق يشتغل فى صناعة

القبعات ويعود عندما يسبل الليل سجوفه ... وكلا

الرجلين لا يعلم شيئاً عن الآخر »

« الصباح متبلج تبيل أشعته من خصائص نافذة

السير كوكس وهو يمشط رأسه أمام المرأة »

كوكس - إننى لن أحلق رأسى بعد اليوم قط

فإن المشط لا يمكنه أن يؤدى واجبه ألبتة بين هذه

الشعرات القصار ... لقد قلت للحلاق أن يقص

أطراف الشعر فقط ، ففهم بفكره السقيم أن يقص

أطراف الرأس (يسمع طرفاً على الباب)

كوكس - من هذا الذى يطرق الباب ؟ ...

(١) عن كتاب « بوكس وكوكس » للقصى الانجليزى

الكوميدى جون ماديسون

القبعات تتشكل على رأسه بتشكيل الأيام ...
السيدة بنسر - أجل إنه يعمل في محل قبعات
أريد شيئاً يا سيدي .

بوكس - كلا... لك الشكر (تخرج السيدة بنسر)
بوكس - لقد لبثت طول الليل لا يغمض لي
طرف ... فيجب أن أنام قليلا ويجب أن أتناول
أيضاً ما تيسر من الطعام ... أيهما سأفعله أولاً ؟..
أتناول الطعام قبل أن اضطجع على السرير أم
اضطجع على الطعام قبل أن أتناول السرير أغني
اضطجع على السرير قبل أن أتناول الطعام ؟ ..
سأتناول الطعام أولاً ... أين صندوق الثقباب ؟..
لقد تركته على المنضدة أمس . إنه الآن على شفا الموقد..
لا أظن أن للصندوق سيقاناً فيقفز هذه القفزة
الخطرة ... لا بد أن السيدة بنسر قد استخدمت
شيئاً منه .

(يوقد النار في الموقد فتذكو وتتوهج ثم بتناول آنية
في يده قبلها ويشتمها) لا شك أن مزر بنسر
استعملت تلك الآنية في إعداد طعامها . إن رأتها
تفوح برائحة السمك ...

(يخرج من جيبه ورقة في طواياها قطعة من اللحم
يضمها في الاناء على النار - ثم يذهب فيتطرح على السرير
ويبدل الأستار) - والآن سأغفو غفوة سريعة
حتى ينضج اللحم . (يدخل مزر بوكس)

بوكس - (نفسه) إن عجائب هذه الدنيا
لا تنتهي ... لقد قال لي المدير وما أطيب قلبه ...
ليس لك عمل اليوم ويمكنك أن تقضى يوماً سعيداً
هنيئاً على شاطئ النهر ... والآن سأتناول طعامي
سريعاً ثم أمضي إلى ضفاف النهر الناضرة ...
(يخرج من جيبه قطعة من السمك) ... أين صندوق
الثقباب ، لقد تركته على حافة الموقد ... والآن
هوذا على المنضدة ... أظن أن ليس للثقباب سيقان

بوكس - إذن فمن أين جاء هذا الدخان الخانق
السيدة بنسر - إن الرجل الذي يشغل الحجرة
التي فوق حجرتك يدخن الغليون ... فربما نفذ
إليك دخان غليونه

بوكس - أظن أن الدخان يصعد إلى أعلى
ولا يهبط إلى أسفل ... أتحدثين عن ذلك الرجل
الذي يقابلني صاعداً عندما أهبط ، وهابطاً عندما
أصعد ؟ أهو يقيم في أعلى الدرج ؟
السيدة بنسر - (في اضطراب) ... لماذا ...
أجل أجل بالطبع ...

بوكس - والآن لقد أرف موعدي ... عمي
صباحاً يا سيدي (يخرج)

السيدة بنسر - لقد ذهبت أخيراً ... إنها
فكرة نيرة ولا شك تلك التي جعلتني أتناول أجراً
مضاعفاً لغرفة واحدة ... كم أغني أن يكون كل
القطان مثل هذين الرجلين ... والآن يجب أن أنسق
الغرفة فقد أوشك السيد بوكس أن يموذ (تسمع المزر
بوكس في الخارج)

بوكس - (في الخارج) لماذا لا تلزم جانباً
واحداً من الدرج في هبوطك يا سيدي ؟.. لقد
كدت أن تدوس قدمي .

بوكس - إنه خطأك يا سيدي

بوكس - بل خطأك أنت يا سيدي
بوكس - إنه خطأك يا سيدي لأنك لم تنظر من الهابط
بوكس - بل خطأك يا سيدي لأنك لم تنظر
من الصاعد . (يدخل)

إلا خبريني يا مزر بنسر من هذا المخلوق الذي
يقابلني صاعداً عندما أهبط ، وهابطاً عندما أصعد ؟
السيدة بنسر - (في اضطراب) إنه ... إنه
السيد الذي يقيم في الحجرة الصغيرة التي في أعلى الدرج
بوكس - يخيل إلي أنه بائع قبعات ... لأن

كوكس — أتى أمرك أن تغادر غرفتي
 بوكس — غرفتك . . . أتغني غرفتي ؟
 كوكس — إنك مجنون أيها السيد . . . إن
 لم تكن تحلم . . . هوذا عقد الغرفة
 بوكس — بل أنت المجنون أيها السيد . . . إن
 لم يكن كلانا مجنوناً . . . هوذا عقد الغرفة
 (يصبح) أيها السيدة بنسر
 (تدخل السيدة بنسر بسرعة)
 بوكس — اطردي عامل القبعات بعيداً عن
 غرفتي . . . إنه مجنون
 كوكس — إن لم تطردى عامل المطبعة . . . فسأجن
 السيدة بنسر — ولكن يا سادتي لا يمكنني
 أن أطرّد أحداً . . . سأفصل لك الأمر
 بوكس — هيا فصلي . . . لمن هذه الغرفة . . .
 أليست لي ؟
 السيدة بنسر — كلا
 كوكس — أسمعت يا سيدي ؟ . . . إن تلك
 الغرفة تخصني . . . اليس كذلك ياسيدي
 السيدة بنسر — كلا . . . إنها تخص كلا منكما . .
 الاثنان معاً — نحن نكرر . . . فصلي الأمر
 السيدة بنسر — أنت ترى أيها السيد بوكس
 أنك تقضي سواد الليل في عملك ، وأنت ترى ياسيد
 كوكس أنك تقضي في عملك سحابة نهارك . . .
 فرأيت أن أشاركك في تلك الغرفة ، ولكني سأعد
 غرفة أخرى في الحال لأحدكما (تخرج السيدة بنسر
 وعن مضطربة عجي . . . ويقوم السيد كوكس بذرع الغرفة
 جثة وذهاباً)
 بوكس — إن لم تكن ربيضت قدميك اليوم
 يا سيدي فأنصحك أن تتريض على شاطئ النهر
 كوكس — إني أريض متى وأين يروق لي
 (يضع السيد بوكس غليونته في جانب فـه)
 (٢)

حتى يقفز تلك القفزة . . . إن السيدة بنسر تعد
 غداها على موقدي . . . إني أعجب كل العجب من
 وسائلها الهادئة . . . (يرفع قطعة اللحم ويلقيها في طبق
 آخر ثم يضع سحكة في الآنية ويدعبل إلى أقصى الغرفة ليأتي
 بالشاي ويوصل الباب في طريقه بصوت ظاهر
 بوكس — (يستيقظ ويبرز رأسه من خلف السدول)
 أهذه سيدتي بنسر ؟ تفضلي . . . ألا تعلمين كم من
 الوقت قضيته نائماً . فلا بد أن اللحم قد احترق الآن
 (ينهش من الفراش ويستم شطر الموقد) ما هذا السمك . . ؟
 آه يالها من فكرة فيرة تلك التي حفزت السيدة بنسر
 أن تستغل نومي لتعد طعامها (يأخذ قطعة السمك
 ويلقيها من النافذة غاضباً) الآن لقد ذهب طعام السيدة
 بنسر ولم يبق إلا أن أعد العدة لطعامي وآتي بالصحاف
 (يخرج ليأتي بالصحاف من باب إلى اليمين يصل الحجرة بالمرزول)
 كوكس — (يفتح خطاه راجعاً من باب في أقصى
 الغرفة) أظن أن النار قد هبات ما عليها . . . ما هذا ؟
 اللحم ثانياً . . . لقد عيل صبري (يقذف اللحم من
 النافذة ويضع على النار إماء الشاي ويستدير لبعده المائدة فيقابل
 السيد بوكس عائداً من الباب وهو يحمل الصحاف)
 كوكس — من أنت ياسيدي ؟
 بوكس — من أنت ياسيدي ؟
 كوكس — إني أكرر على سمعك من أنت
 ياسيدي ؟
 بوكس — إني أكرر على سمعك من أنت ياسيدي ؟
 كوكس — آه إنه عامل المطبعة الذي يقطن
 الحجرة التي في أعلى الدرج
 بوكس — آه إنه عامل القبعات الذي يقطن
 الحجرة التي في أعلى الدرج
 كوكس — إن لم تصعد إلى حجرتك في الحال
 فسأحملك على مغادرتها عنوة
 بوكس — إن لم تصعد إلى حجرتك في الحال
 فسألقيك على الدرج

بوكس — خفض عليك جأشك يا سيدي فاني
لا أريد أن نتشاحن

بوكس — وكذلك أنا لا أود أن نتشاحن ..
أمتزوج أنت يا سيدي ؟

بوكس — كلا ... ولكنني عقدت النية
على الزواج

بوكس — أتمنى لك مستقبلا سعيدا
بوكس — لك الشكر ... وإن كنت أعتقد

أنه لن يكون سعيدا
بوكس — ولم ذلك ... ألا تنتظرك زوجة

دقيقة تذوب شوقا لرؤيتك ؟
بوكس — لا أظن هذا ... فزوجتي الآنسة

بنلوب آن تذوب شوقا لرؤية المال لا لرؤيتي أنا
بوكس — بنلوب آن ؟ !

بوكس — تماما
بوكس — أوف مارجات .

بوكس — بالضبط ... أوف مارجات
بوكس — أنتظر لتلك الآنسة كزوجتك

المستقبل ؟
بوكس — أجل .. أتي أنتظر إليها كزوجتي

المستقبل .
بوكس — وهل هي تنظر إليك كزوجها

المستقبل ؟
بوكس — إنها تفعل ... فقد وعدتني بالزواج

بوكس — إذن دعني أقول لك إن بنلوب آن
هي زوجتي المستقبل ... يا عامل المطبعة البسيط

بوكس — كلا إنها زوجتي المستقبل أيها الصانع
الفقير ولن أتركها لك ولو أقفلك إلى النهاية

الاثنان معا — أيها السيدة بنسر (تدخل السيدة
بنسر علي عجل)

بوكس — علينا بالسلاح .

بوكس — أنتوي أن تدخن في غرفتي يا سيدي ؟
بوكس — إني أدخن متى وأين يروق لي

(يفتح السيد بوكس نافذة الغرفة)
بوكس — أفتفتح نافذة غرفتي أيها السيد ؟

بوكس — أجل إني أفتح نافذة غرفتي لأستروح
أنسام الخارج

بوكس — أقفل هذه النافذة
بوكس — ضع هذا الغليون

بوكس — هوذا ... (يضع الغليون)
بوكس — هي ذى ... (يوصد النافذة)

بوكس — أظن أنه ما دمنا نقطن غرفة واحدة
يا سيدي فيجب أن يكون التفاهم رائدا ... إني

أرى في نفسي ميلا إليك يا سيدي
بوكس — وإني لكذلك أيها السيد

بوكس — إذن دعنا نشغل وقتنا بأية وسيلة ..
أتغني يا سيدي ؟

بوكس — كلا ... إن زوجتي لا تسمح
لي بذلك

بوكس — وهل أنت متزوج يا سيدي ؟
بوكس — كلا يا سيدي ... ولكنني عقدت

العزم على الزواج
بوكس — لك مني خير الأمنيات

بوكس — لك الشكر يا سيدي
بوكس — وعلى ذكر هذا أقول ... عند ما

تتزوج يا سيدي أظنك ستترك الغرفة الأخرى التي
ستمدها لك السيدة بنسر

بوكس — إني لن أقيم في الغرفة الأخرى ...
هذه غرفتي ولن أبرحها بأية حال

بوكس — ولكن هذه غرفتي
بوكس — كلا إنها غرفتي

آه إن قطعتك تحمل رأسين أيضاً... ألا تخجل من خيانتك

كوكس — أئدعوني خائناً؟... إنك أنت الخائن
بوكس — كيف تجرؤ أن تقول ذلك
(يبدآن في التشاجر)

الاثنان معاً — هل انتهيت من إعداد الحجرة
الأخرى أيتها السيدة بفسر

السيدة بفسر — ليس تماماً ياسادى... لم
أتمكن من الاثنان بالسلاح ولكني أتيت بخطاب
(يأخذ السير كوكس الخطاب ويخرج السيدة بفسر)
كوكس — إنه من بنلوب آن

بوكس — إذن أعطه لى... (ينظر السير بوكس
إلى الخطاب من فوق كتف كوكس) إنه ممنون باسمي
ب . و . ل . س « بوكس »

كوكس — إنه ممنون باسمي وهذه الكاف
واضحة ظاهرة للعيان

بوكس — وأنا أقول لك إن هذه الباء يراها
الأعمى

كوكس — إذن دعنا نقرأه سوياً
(يفتح الخطاب وينظر فيه)

كوكس — أخبار محزنة؟

بوكس — أية أخبار؟

كوكس — أخبار مفرجة

بوكس — دعنى أر...
كوكس — دعنى أر ثانية... لعل أخطأت
(يقرأ)

« عزيزى السير كوكس »
بوكس — بوكس

كوكس — عزيزى السير كوكس — بوكس
« إن عندي لك خبراً محزناً... »

« فاني أرى أن مشاربنا تختلف ونزعائنا تتباين »

السيدة بفسر — أجل ياسيدى (تهدي الخروج)
كوكس — انتظرى... أتعنين أيتها المرأة أنك
تحتفظين بسلاح محشو فى منزلك؟

السيدة بفسر — كلا إنه غير محشو
كوكس — إذن فعلينا به (تخرج السيدة بفسر)

بوكس — ولكن ما رأيك ياسيدى فى القتال؟
أظن أن أمثالنا من الفضلاء يتقاتلان على تلك
الصورة .

كوكس — كلا... لا أظن هذا...
فالأفضل أن نحل النزاع بالتفاهم. إن لدى لفكرة... وهى
أن يقذف كل منا بقطعة من النقود فإذا سقطت
قطعتى ورأس الملك إلى أعلى فأنا الفائز .

بوكس — وإذا سقطت قطعتى ورأس الملك
إلى أعلى فأنا الفائز... وإذا سقطت القطعتان على
الوجه الآخر فلا فائز بيننا .

كوكس — فكرة نيرة (يخرج من جيبه قطعة
من النقود)

بوكس — (يخرج من جيبه قطعة أخرى) أأنت
على أهبة... إذن دعنا نبدأ

كوكس — (يقذف قطعته إلى أعلى فتسقط فينظر
إليها) : رأس الملك .

بوكس — (يقذف قطعته) : رأس الملك
كوكس — يجب أن نقذفها ثانية

الاثنان معاً — (يقذفانها ثانية) : رأس الملك
— (يقذفانها ثالثة) : رأس الملك

كوكس — إن هذا عجيب... دعنى أر
قطعتك ياسيدى آه . لك الخبرى... إنها كما ظننت

ياست قطعة حقيقية. إنها تحمل رأس الملك على
الوجهين... إن هذه خيانة... ألا تخجل من ذلك؟

بوكس — دعنى أر قطعتك ياسيدى...



يَوْمِيَّانَا فِي الْإِكْرَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

٢٢ أكتوبر ...

استيقظت اليوم متأخراً . فقد سهرت أكثر الليل في التهام الأوراق المتأخرة . إذ بعد أسبوع تبدأ السنة القضائية الجديدة . ومعنى هذا أنه لا ينبغي أن تبقى عندي قضية واحدة لم يتم التصرف فيها من قضايا العام المنصرم . ومعنى هذا أيضاً أنه يجب على أن أحبس نفسى طول هذا الأسبوع حتى أنظر في المتأخر من أكداس « الشكاوى » التي

حتى لا سبيل إلى الاتفاق

« وأنا أحرر لك هذا الخطاب لأخبرك أنه قر عزمى على الزواج من السير بوكس وهو رجل فاضل ثري من أمائل المدينة ... أمل أن توافقي على ذلك ... وأتمنى لك حياة سعيدة » (بنلوب آن)

بوكس — أظن أنني لا أكون مبالغاً إن قلت أنني كنت أمقت هذه الفتاة من كل قلبي
كوكس — وهكذا كنت أنا أيضاً فاني لم أكن مشتاقاً إلى هذا الزواج

السيدة بنسر — (خارج الغرفة) لقد انتهيت من إعداد الغرفة الأخرى أيها السيدان

بوكس — هيا أيها السير كوكس

كوكس — هيا أيها السير بوكس

فاضت بها خزائنى ... آه من هذه الشكاوى ! إنها أكثر عدداً من ذلك « البق » الزاحف جيوشاً على حائط دار النيابة الرطب المتهدم ! يخيل إلى أن الشكاوى لا تنزل على رأسى كالوابل إلا أيام الأسواق ؛ كأن الفلاح إنما يخرج إلى سوق الخميس من كل أسبوع يبيع كيلة ذرة ليشتري قليلاً من السكر والشاي ويغلا زجاجة « السيرج » ويستكتب أحد البكتبة العمومية « بلاغاً » أو « عريضة » ضد مأذون الناحية أو العمدة أو وكيل شيخ الخفر .

ولعل هذا أصبح بنداً ثابتاً معتاداً في ميزانية كل خارج إلى السوق من هؤلاء الفلاحين . لست أدري لذلك من سبب . أهو الظلم حقاً : أم هو داء الشكاوى استوطن دم الفلاح على مدى أحقاب من الجور مرت به حقيقة ! على أى حال ماذنبى أنا أجرع مافى هذه الأوراق من سخف . يظهر أن حضور جلسات المحاكم وضبط قضايا التلبس في النهار ، وقيد وارد

بوكس — ولكن ياسيدى أرى أننا متفقان في كثير من مشاربنا ونواحي حياتنا . أليس كذلك؟
كوكس — أجل ياسيدى ... إني أرى هذا بوكس — إذن أليس من الغباء أن نفرق على تلك الصورة ؟

كوكس — أجل إني لا أوافق على أن نفرق بوكس — إذن أوافق أن نعيش سوياً ؟
كوكس — أجل إن ذلك يلائم حياتى بوكس — إنه يلائم حياتى أيضاً

(تدخل السيدة بنسر وقد سمعت حديثهما في الخارج)

السيدة بنسر — وأنا يسرنى أن أقول إن نصف هذا الأجر يلائمنى

الاثنتان معاً — ويلائمنا أيضاً « سكر »

(اسكندرية) أحمد فخمى مرسى

خلالها نظرات صريحة إلى المحتمين في أروقة دار النيابة من وكلاء المحامين وأرباب القضايا كأنما يستحثهم على الوقوف له . ولا حديث عنده إلا ذكر علاقته وصلاته بكبار الموظفين ، يقول ذلك في زهو وانتفاخ . ولطالما طلبت اليه حساباً عن عمله فيجيبني دائماً :

— أنا والله الحمد رجل لا أميل إلى الأبهة ولا إلى الفخفخة !

تراني سألته في ذلك : لم يتحدث قط . يخيل إلى أن من الناس من يلقى الكلمة يدفع بها عن نفسه فإذا فيها الاتهام الصارخ . ولعل كل منهم يحمل في طيات كلامه دليل إجرامه ، كما يحمل المريض في دمه جرائمه !

لا بد إذن من العمل المنضى حتى تنجم السنة القضائية على خير . وقد أمرت بإغلاق أبوابى على حتى أنفرد لهذه الملفات أتصرف فيها باليمين وبالشمال ، ومضيت أعمل وأنا أقول : « خذ من التل يخل ! » ولكن الذى وضع هذا التل كان يقصد بالتل التقود والذهب . أما أوراق « الشكاوى » فهي تل دائم النمو . لا يخل ولا يزول .

وهل تنقطع للإنسان « شكوى » على هذه الأرض مادام هو إنساناً . ونسيت نفسى في العمل ، فلم أسمع طريقة خفيفة قيل إنها وقعت على الباب . ولكنى رأيت رجلاً أيقاً في وسط الحجرة يتنعم لى وخلفه حاجب يحمل حقيقتين . عجيباً ! هذا زميلى وكيل نيابة طنطا ! ماذا أتى به ؟ وما هذه الحقائق ؟ ولم يترك لى زميلى وقتاً للتساؤل . فقد أشار إلى حاجبه أن يضع الحقيقتين على الأرض وينصرف . وما إن صرنا وحدنا حتى جثا على قدميه أمامى في حركة تشيلية وقال :

الجنح والمخالفات فى المساء ، والانتقال لتحقيق وقائع الجنايات بالليل ، كل هذا لا يكفي وكيل النيابة فى الأرياف . فهو ما زال يجرد وقتاً يتنفس فيه فلتسد عليه إذن مسالك الهواء بأكوام الأوراق التافهة الآتية من المركز باسم « الشكاوى » و « العوارض » و « الأحوال » . ومعنى هذا أيضاً أنى أنا الشخص الضعيف الجسم والبنية الدقيق الحس والشعور الذى يتوق الى نصف الساعة يفرغ فيها إلى مطالعة كتاب جميل ، ينبغى لى أن أقرأ أيضاً ما جرى بين « ست الدار » وجارتها « قطايف » من تبادل « الروح » والسباب وما تلقاه المركز من بلاغات فقد الأختام و « محاضر » البحث الجارى عن جحش هرب من أمام الباب ، وإصابة قدم طفل داس على قطعة زجاج ، وسقوط قرع حميزة على رأس كبش الحاج هباب ! إني والله لأعذر ذلك النائب فى الصعيد الذى قيل إنه كان يعبر النيل فى قارب للوصول إلى مقر عمله وكان معه حمل من هذه « الشكاوى » حار فى أمره ، فأوماً إلى صاحب القارب ، فقال بقاربه على أحد جنبه ميلاً أسقط « الشكاوى » فى الماء ! ويزيد فى بلائى أكثر من هذا إلحاح عبد المقصود أفندى رئيس القلم الجنائى . فهو النوط بإرسال « كشوف » القضايا فى مواعيدها إلى النائب العام ووزارة الحفائية . هذا الرجل لا أرى له عملاً عندي غير التنقل بين الحجرات حاملًا فى يده ورقة يأمر هنا وينهى هناك . حتى عملية « التنفيذ » التى من نصيبه قد ألقى بعينها على غيره من مرؤوسيه واكتفى هو « بمهمة » الصياح فى الكتبة والحجاب . وهو أول من ينصرف من الموظفين واضعاً على طرف أنفه عويناته الذهبية ، يرسل من

— أنا وقعت من السما وأنت تلقفتني !

فنظرت إلى يدي الهزليتين ثم إلى جسمه الممتلئ
— أنا تلقفتك ؟ ونزلت « صاغ » سليم !

— اسمع ! الموضوع جد . أنت رجل معروف

بيننا جميعاً أنك صاحب همة ومروءة . . .

هنا لعب في « عبي الفار » ! وأدركت أن هذا

الزميل قد ترك مقر عمله طنطا في هذا الوقت العصيب

وقت مولد السيد البدوي وما يتبعه من ازدحام المدينة

بأفواج الوافدين وكثرة الحوادث والوقائع التي

تصحب عادة كل مولد وكل ازدحام . ترك ذلك وأتى

إلى يطلب ولا شك إلى همتي ومروءتي معونة كبرى

ترى ما نوع هذه المعونة ؟ وخامرني قلق ، وأردت

أن أعرف سريعاً ما يريد مني حتى أطمئن فقلت :

— أنا في خدمتك !

فما كاد يسمع هذه الكلمة المشجعة حتى قام إلى

رأسي يقبله ويقول في صوت كصوت « الشحاذين »

— ربنا يخليك وبيتيك ويمد في عمرك و . . .

ثم تركني وأسرع إلى حقائبه وقال لي :

— تسمح ؟

فقلت له وقد حمدت له في نفسي ذوقه ومراعاة

اللياقة في الزيارة :

— والله ما كان فيه لزوم تكلف نفسك هدية

وفتح إحدى الحقيبتين وأنا أتوقع أن أرى فيها

على الأقل حمصاً من حمص السيد البدوي وفي

الأخرى حلاوة المولد . . . ولكنه أخرج أحمالاً

من أوراق « الشكاوي » ووضعها على مكنتي وهو

يقول في تواضع :

— هديتنا على قدنا :

فنظرت إلى الأوراق في روع وتمتمت :

— أعوذ بالله !

وجعل هذا الضيف يخرج الأكداس تلو

الأكداس وهو يقول :

— النبي قبل الهدية !

فلم أجد ما أقول لهذا الانسان الذي يصر على

أن يسمى هذه « السخرة » هدية ، ولعنت في نفسي

قولهم إن « النيابة لا تتجزأ » . هذا المبدأ الذي

نسير عليه ؛ وهذا النظام الذي يفرض التضامن بين

كل أعضاء النيابة ، ويعطى الحق لو كيل نيابة أسوان

أن يتصرف في قضايا وكيل نيابة الأسكندرية دون

أن ييطل تصرفه اختصاص مكاني أو زمني . لعنت

ذلك ولعنت الضيف ولعنت نفسي إذ أن لي حقيقة

من سوء حظي صيتاً بين زملائي بآني من أصحاب

المهم خصوصاً في الشكاوى الإدارية وسرعة التصرف

فيها . وقد تقل عني الكثير من إخواني أعضاء النيابة

طريقتي في قراءة الشكاوى . فهم يقولون إنني أقرأ

الشكاوى من آخرها لا من أولها . وهذا صحيح فأننا

لست مجنوناً حتى أقرأ الأوراق من أولها كما يقرأ

الناس والعقلاء ! لو فعلت ذلك لما انتهيت ، ولكنني

أضرب صفحاً عن الديباجة وما فيها من « أنتم

يا ملاذ العدل ويا نصير الحق ويا مبسدة دولة الظلم

ويا ما حق . . . الخ الخ » وأنظر في الحال إلى السطر

الأخير ففيه عادة لب الموضوع . وهذا اللب أيضاً

قلما أجده لباً ، وكثيراً ما يجري فيه قلبي بالكس

أي « بالحفظ » في سرعة وجراءة وهمة أطمعت في

الزملاء المورطين الغارقين في بحار هذا « الواعش » ،

ولكنني اليوم آخر من يعين الناس . أني أنا نفسي

في حاجة إلى المعونة . وإن هبوط هذا « الضيف »

على كاهي المصيبة لأمر شاق على النفس . ولم

الواقع أنها بلاد قريية من الفطرة والوحشية .
هذا الوجه القبلي من مصرشئ ، مخيف لساكن الوجه
البحري . إن المرأة هناك شبح لا يرى ولا ينبغي أن
يرى . وهي مخلوق جاف لا فرق بينها هناك وبين
الرجل . كلاهما شئ . لا أثر للرفقة فيه . وكلاهما في
الجسم والطبع والروح كتلك الأرض السوداء التي
يعيشان عليها وقد جف عنها النيل في زمن التحريق !
آدميون قد جف عن تركيهم ذلك الماء الذي فيه
سر امتياز الآدميين

ونفخ صاحب الدخان من أنفه وفمه ثم استطرد :
— لعنة الله على دى بلد ! أنا أراهن أن تسمة
أعشار أهالي ديروط لو تكشف روسهم تلقى معمول
لهم جميعاً عمليات « طربنة » من ضربهم في بعض
النبايات !

فصادقت برأسي على قوله ثم زدت :
— وأبنوب ؟
— ألعن !

قلها في إشارة من يده أضحكتنى وذكرتنى بشئ
قرأته عن هذه البلدة : إحصائية صدرت في أوروبا
أو أمريكا (است أذكر على التحقيق) غرضها بيان
الاجرام في العالم : ورد فيها أن « شيكاغو »
أكثر بلاد الأرض في عدد جرائمها ، وتليها مباشرة
« أبنوب » ، وبعدها بقية مدن العالم الشهيرة .
وقد حسبت وقتئذ أن « أبنوب » هذه مدينة في
أمريكا . لولا ملحوظة في هامش الإحصائية
ذكرت أنها من بلاد الوجه القبلي بالقطر المصري .
دهشت عند ذلك أن يكون لهذه البلدة الحقيرة
الصغيرة هذا النقام العظيم بين ~~هذه~~ الدنيا الشهيرة ،

أتمالك ، وتجهمت للشكاوى الخارجة من الحقائق
وقلت في سخرية الغيظ :

— يا سلام ! يا سلام على حمص المولد ! حاجة
تشرح القلب صحيح !
فقال الضيف وهو ينفخ يديه من آخر ملف :
— كان غرضي أجيب لك شوية حلاوة ...
فقاطمته صائحاً مرتاعاً :
— من الصنف ده ؟
فاستمر في قوله باسم :

— لكن والله غاب عن فكري في آخر لحظة ...
— الحمد لله ! جاءت سليمة ! . . .

فضحك الزميل المحترم . وجاءت القهوة فشرب
هنيئاً . ثم قام فدار دورة في الحجرة واقترب من
النافذة كمادة التي أعرفها عنه وأطلق بصره فيما
حولنا من منازل قليلة وغمر بعينه :
— في البيت ده بنت حلوة !

فبادرت إليه وجذبتة من ذراعه بعمدا وأنا
أقول له :

— كنت فأكرك عقلت وبطلت المجلس !
فقال باسم وهو يعود إلى الحجرة ويجلس على
مقعد :

— أبطل ازاي ؟ « البصصة » في دي !
وجعل يذكرني بأيام « ديروط » حيث كنا
نعمل معاً في نيابتها . وطلب مني سيجارة طفق
بدخنها ويقول :

— فذكر في ديروط لما كنا نقف في الشبايك
نبحث بعيننا فوق الأسطح عن قيص حريمي مشغول
« بالتنتة » لأجل بس نطمئن على وجود صنف
النسوان في البلد :

— حركة التنقلات في نوفمبر .
 — أظن على الدور أنتقل مصر .
 — النقل مصر من بانديور يا حبيبي . عندك
 واسطة ؟
 — لا .
 — حاتيش وتموت في الأرياف .

— وإخواننا اللي قاعدين متمتعين في مصر
 بقى لهم سنين ؟

— تشملهم كذلك حركة التنقلات . لكن
 على الوجه المفهوم وعلى الطريقة المعتادة : وكيل نيابة
 انوسكي يتقل إلى نيابة الأزبكية . ووكيل شبرا إلى
 نيابة الخليفة . ووكيل السيدة زينب إلى كلية مصر ؛
 يعني تنقلات مع مراعاة عدم خروجه من لجنة
 العاصمة . ومع ذلك تجد حضراتهم غير راضين .
 لأن بعضهم يقول لك : « شبرا : يا سلام شبرا
 بعيدة جدا جدا عن بيتي في الزمالك ! » والآخر
 يقول لك : « إزاي أروح نيابة السيدة . ! » حتى
 ديموقراطي قوى ! ! « أما حضرتك وحضرتي ،
 فأنت إن شاء الله من هنا إلى « الفشن » من غير
 كلام . وأنا من طنطا إلى « طما » أو « منفلوط »
 من غير كلام . وإن فتح واحد منا فمه بالشكوى
 أو الاحتجاج هبوا فينا : إيه دلع أعضاء النيابة ده !
 تفضلوا وروحوا نياباتكم بلا دلع ! !

فأطرقت طويلا في حزن وغم ؛ ولم أجد في
 يدي غير التمسك بالصبر حتى لا أضيف على بلائي
 بلاء . وقلت متنبها :

— أمرنا الله : لنارب ! لكن ده شيء يصد
 النفس عن الشغل . . .

وإن كان هذا المقام في عالم الاجرام ! « شيكاغو »
 و « أبينوب » : قطبا الفريزة السفلى على هذه
 الأرض . الأولى إجرام الحضارة ، والثانية إجرام
 البداوة : كل له طابعه ومميزاته . إجرام الحضارة ،
 قد ارتدى هو أيضا ثوب الحضارة بأسلحتها
 وأغراضها وأسبابها !

هناك الجريمة المتحضرة تخرج في سيارتها
 المصفحة حاملة « المسدسات » و « انترايوزات »
 و « المفرعات » لتهاجم على أضخم « البنوك »
 وبيوت المال ثم تعود إلى مكنتها بثروات طائلة من
 الجنبيات ! وهنا الجريمة الفطرية تخرج متدثرة في
 عباءتها حاملة هراواتها أو فأسها أو بندقيتها تسفك
 دم رجل ضعيف انتقاما لمرض أهين في نظير التقاليد
 والعادات . هنا لك الثروة والمال ، وهنا التقاليد
 والعادات . هذا هو الفرق بين الحضارة والفطرة .
 بين ما يشغل بال الرجل المتحضر وما يشغل بال
 الرجل المتأخر ! نعم إن الشر هو دائما الشر . ولكن
 الشر الناتج عن سبب كبير لأجدر بالتقدير من شر نشأ
 عن سبب تافه حقير : إن الحضارة العظيمة لا تزال
 الشر ولا تمحو الجريمة . ولكنها توجد الشر
 العظيم والجريمة العظيمة !

والتفت إلى زميلي المطرق وقلت له :

— أنا روحي طلعت خلاص : زهقت من
 حاجة اسمها أرياف : زهقت من أصناف « اللبد » :
 — إزهق على كيفك !

— أنا اشتقت لمصر : نسيت شكل عاصمة
 بلادي ! أحب ياناس أغير نوع الجريمة . وأشتغل
 مع مجرمين لابسين سحرة وبنطلون :

أره . لأن أحدا لم يعطنيه ! إنهم يطلبون إلي أن أنظر في شكاوى الناس ولا يتنازلون هم إلى النظر في شكاوى وشكاوى المثات من زملائي ! وأجريت القلم في الأوراق أوسعها « حفظاً » : ودخل على عبدالمقصود افندي يحمل ملفات ضخمة فقلت مرتاعاً :
— إيه كل ده ؟

— الجنج الباقية على التصرف . .

ثم التفت خلفه ونادى الحاجب :

— هات الجنائيات يا جدع !

ونظر إلى قائلاً :

— حانعمل إيه في الجنائيات الباقية . . .

ووضع أمامي ملفات قرأت على غلاف أحدها قضية « قمر الدولة علوان » . فتذكرت أن الفاعل في هذه القضية لم يعرف . لم يعرف ، طبعاً لم يعرف ولن يعرف . وكيف يراد منا أن نعرف متبهما في قضية غامضة كهذه القضية وكل من المأمور والبوليس « ملبوخ » من رأسه إلى قدمه في تزييف الانتخابات ، وأنا « ملبوخ » في قراءة شكاوى وجنج ومخالفات وحضور جلسات . لو أن لدينا « بوليس سرى » على النظام الحديث ، و « قاضى تحقيق » ينقطع لقضايا الجنائيات كما هو الحال في أوروبا والعالم المتحضر ! إنهم هناك ينظرون إلى أرواح الناس بعين الجسد . أما هنا فلا أحد يأخذ ذلك على سبيل الجد . وإن الأموال لتنفق هنا بسخاء في التافه من الأمور ، أما إذا طلبت لأقامة العدل أو تحسين حال الشعب فإنها تصبح عزيزة شحيحة تقبض عليها ألا كذب المرئجة كأنها ستلقى في البحر هباء . ذلك أن « العدل » و « الشعب » . . . الخ الخ كلمات لم يزل معناها غامضاً عن العقول في هذا البلد . كلمات كل مهمتها أن تكتب على الورق وتلقى في الخطب كغيرها من الألفاظ والصفات المعنوية التي لا يحس لها وجود

لفظت ذلك وقد وقعت عيني على أكوام الأوراق التي لا بد من إنجاز التصرف فيها فأحسست أن رغبتى في العمل قد فترت . فقال صديق :

— الشغل . . . هو آخر شئ يهم أسيادنا الرؤساء الكبار : المحسوبة أولاً ، ومصلحة العمل أخيراً ، وكون نفس حضرتك تنسد أو تنفتح للشغل مسألة غير مفهومة بالمرة ولا مهمة بالمرة عند أسيادنا الكبار :

ونظر الزميل في ساعته ثم هض سريماً مستأذناً فأمسكت به في لهفة . ففى وجودنا معاً وتقليب ذكرياتنا بعض الراحة والمزأ :

— أقعد ! أنت رايح تتغدى عندي النهارده :

— مستحيل ! نيايتي قاضية ووقت مولد .

أرجوك تسامحنى . . .

وشكر لي ومد إلي يده وودعنى بسرعة وهو يقول مشيراً إلى ملفات الشكاوى التي جاء بها :

— على الله نفسك تنفتح على الكم ورقه الهدية . . . ويبقى لك عندى المرة الجاية الحلاوة . . . حلاوة بصحيح : حمصية وسمسمية وبالجوز واللوز والفتق . . .

— طيب رح بقى ، ربقى جرى مقدماً . . .

وشيعته باسماً إلى باب حجرى حتى اختفى .

فرجعت إلى ما كنت فيه ولكن فى شئ من التثاقل والضيق والكآبة . وألقيت نظرة أخرى على « الشكاوى » . ورأيت أن أمضى فى عملى وأن لا أضيع الوقت فى تبرم لافائدة منه ، لا يشعر به أحد ولا يراه أحد غير تلك الحيطان الأربعة التي تحبس روحى وأنفاسى . وأمسكت بالقلم . وتناولت من الكوم ملفاً وفتحته . وقرأت « ياملاذ العدل . . » فما تماالكت أن ضحكت بصوت مرتفع ضحكة مرة . أنا ملاذ العدل ؟ أين هو العدل ؟ إني لا أعرفه ولم

فيها للوصول إلى معرفة الفاعل وأنه مواصل بحثه ومصر عليه لا يعتبر ذلك عذراً ، وسفهه زملاؤه وحسبوه « غشياً » ونصحوه بأن « يحفظ » القضية « مؤقتاً » حتى تعتبر « متصرفاً فيها » ؛ فالجهات العليا يهيمها ويطمئنها « التصرف » في القضايا أى « نفذ » اليد والفراغ منها كما يفرغ التجار من كراسي صنعها ، حتى تستطيع تلك الجهات أن تدون في الاحصائيات : « وقع في القطر هذا العام عدد كذا جنائيات . . . تم التصرف في عدد كذا منها . . . الخ » . وكلما كان عدد القضايا التي تم فيها التصرف كبيراً كان ذلك دليلاً ناصعاً على نشاط رجال العدل وغيرهم على استتباب الأمن وحسن سير الدولاب الحكوى !! وأشار عبد المقصود أفندى بأصبعه إلى الملفات وقال :

— قبل كل شئ ، يساعدك البك تصرف لنا في الكم جناية الباقيين لأجل أن أسدد كشف الجنائيات وأصدره للباشا النائب والوزارة . . .

— بس كده ؟ حاضر !

وغمست القلم في المداد وتناولت القضية الأولى وهي قضية « قمر الدولة » :

— طالب تصرف ، خذ تصرف !

ثم كتبت في ذيل المحضر الإشارة المعهودة :

« تحفظ القضية لعدم معرفة الفاعل . . . الخ »

وسحبت « الجنائيات » الأخرى وفعلت بها مثل ذلك وناولتها رئيس القلم الجنائى وأنا أقول له في نبرة خرجت ساخرة مريرة على الرغم منى .

— مبسوط ! أدخنا خلاص سددنا كشف

الجنائيات !

(انتهى)

توفيق الحكيم

حقيق . فلماذا ينتظر منى أنا أن آخذ على سبيل الجد روح « سى قمر الدولة علوان » ؛ إن هذا المجنى عليه قد مات وانتهى مثل غيره من مئات المجنى عليهم في هذا المركز والمراكز الأخرى في القطر ، ذهب دمهم جميعاً أرخص من المداد الذى حبرت به محاضر قضاياهم ، وانتهى ذكرهم عندنا « رسمياً » بذلك الاجراء الأخير البسيط : « تحفظ القضية لعدم معرفة الفاعل ويكتب للمركز باستمرار البحث والتحرى » . فيجيب المركز بعبارة مألوقة محفوظة يحمرها كاتب الضبط فى حركة آلية وهو يقضم « شرش جزر » : « جارين البحث والتحرى . . » وهي كلمة الوداع التي تقبر بها القضية نهائياً . لقد كانت فى قضية قمر الدولة « قمر » مضى ميز فى أعيننا هذه القضية عن غيرها وجب إلينا العمل والجهد فى سبيلها . ولقد اختفى هذا القمر إلى الأبد وترك القضية ومحققها فى الظلام ! بل إنه بذهابه قد زال عنها ذلك الاعتبار الخاص فأصبحت قضية عادية كمئات القضايا التي لا يعنيننا من أمر أشخاصها شئ . وللقضية أى لتلك « الملف » المادى من الورق المكتوب « شخصية » قائمة بذاتها فى نظر رجال العدل . وإن ما يعنى جهاتنا الرئيسية هو ذلك « الملف » وسرعة التصرف فيه . وإنه لن يعيننا شئ إذا حفظنا القضية ، ولكن العيب كل العيب أن تظل هذه القضية باقية قيد التصرف ويثبت ذلك فى « الكشف » المرسل إلى النائب العام والوزارة فى آخر السنة القضائية . أى عار عند ذلك وأي إهمال ينسبان إلى وكيل النيابة ؟! وأي مكاتبات مستعجلة وغير مستعجلة تسقط على رأسه من جميع الجهات عن سبب بقاء هذه القضية قيد التصرف ؟ فإذا أجاب بأنه لم يستوف بعد أبحاثه

أجلاقيين وسيلزيت

رواية تمثيلية في خمسة فصول

للتأليف: البليجي موريس مازريك

بقلم الدكتور محمد غريب

لقد كان هذا
السفر سعيداً وموفقاً ،
غير أنني حين نزلت إلى
الشاطئ ، وجدت
الطريق مغماً بمياه
الأمطار الغزيرة ، ومن
المحتمل أن الشمس
ستغرب قبل أن ألمح
برج ذلك القصر العتيق
حيث سيلزيت الخيرة

أرادت أن تستقبل (أيم) شقيقها

سيلزيت مصففة :

أوه ، الشمس آذنت بالمغيب ، أنظر إذاً ، لا بد
أن تكون قد اقتربت ، سأرى . ولكن « ميلياندر »
يمنعها من الخروج بإشارة ويستأنف القراءة .

« أنا لم أرك إلا مرة واحدة » يا ميلياندر
وكانت في وسط الحيرة والارتباك ، لأنها كانت في
يوم عرسى ، ذلك العرس البائس الذي مع الأسف
لم نلمح فيه ذلك الضيف ^(١) الذي لا يدعوه أحد ،
ولكنه كان يجلس دائماً في مكان السعادة التي
تنتظرنا . لم أرك إلا مرة واحدة منذ ثلاثة أعوام ،
ومع ذلك فاني أجيء ، نحوك بلا قلق كأننا كنا
ننام منذ الطفولة في مهد واحد . إنني متأكدة
أنى أجد فيك أختاً شقيقاً . نحن لم نتحدث معاً تقريباً
ولكن الكلمات القليلة التي قلناها لي كان لها في مسمعي
نبرات تغاير جميع النبرات التي سمعتها حتى الآن .

سيلزيت — لا تقرأ سريعاً إلى هذا الحد
ميلياندر مستمراً في القراءة : « كم أنا أشتهي

(١) المراد بالضيف الموت .

أشخاص الرواية

تظهر في هذه الرواية خمس شخصيات ، ثلاث
منها تلعب دوراً جوهرياً ، واثنان قليلتا الأهمية .
فأما الثلاث الأول فهي شخصية « سيلزيت »
وشخصية « ميلياندر » زوجها و « أجلاقيين » أيم
شقيق « سيلزيت » ؛ وأما الشخصيتان الثانويتان في
هذه الرواية فهما شخصيتا « ميلنجران » جدة
« سيلزيت » و « إيسالين » الفتاة الصغيرة .

الفصل الأول

المنظر الوحيد : يجري هذا المنظر في إحدى
قاعات قصر « ميلياندر » حيث تشاهد الجدة العجوز
مستغرقة في النوم على كرسي طويل ذي مسند عال
في نهاية القاعة .

ميلياندر — سيلزيت :

ميلياندر ممسكة بيده الرسالة التي وردت إليه
من أجلاقيين يقرأ :

« لا تخرج لمقابلتي ، بل انتظري في نفس
القاعة التي تنتظر فيها عادة سماع دقائق ساعات الراحة
حتى لا أحس أنني أجنبي : إنني أكتب إليك هذه
الرسالة على أثر نزولي من الباخرة التي كانت تحملني إليك .

سعيدة ويكي حين تكون حزينة ، على حين أنها هي شخصيا قد تجهل ما إذا كان ينبغي لها أن تكون سعيدة أو حزينة . وأنا لم أرق شعرا تنبعث منه الحياة كهذا الشعر . إنه يخدعها في جميع الأحيان إذا صح أن نسمي إظهار الفضيلة المراد إخفاؤها خداعا ، لأنها ليس لديها ما تحاول أن تخفيه إلا الفضيلة سيليزيت — أنا أعرف أنني لست جميلة

ميلاندر — لاتقولى هذا الكلام أثناء وجودها هنا ، لأنه ليس من الممكن أن يقال أمامها كلام غير مجد كهذا الكلام ، إذ أنها تطفى بقوة كل ما يخالف الحقيقة حولها .

سيليزيت — إنها تطفى بقوة كل ما يخالف الحقيقة حولها ... !

ميلاندر — سيليزيت ؟

سيليزيت — ميلاندر ؟

ميلاندر — إنه قد مضت علينا أربعة أعوام ونحن نعيش معا .

سيليزيت — إن العام الرابع سيكمل في نهاية هذا الصيف .

ميلاندر — ها هي ذى أربعة أعوام قد مضت وأنا أجدك بجانبى دائما جميلة ودائما محبة ووديمة ، والبسمة الحلوة التى تم عن السعادة العميقة لاتفارق تفرك . أنت لم تبك كثيرا فى هذه الأعوام الأربعة .

أليس كذلك ؟ اللهم إلا حين يفر من بين يديك أحد طيورك المحبوبة . أو حين تشاكك جدتك ، أو حين تذوى إحدى زهورك المتفتحة قسكبين بضع عبرات قليلة ، ولكن عند ما يعود الطائر وتهدأ الجدة وتنسى الزهرة تعودين إلى القاعة ضاحكة مستبشرة دافعة الأبواب والنوافذ ، قافزة فوق ركبتي مقبلة خدى كأنك طفلة تعودين من المدرسة . وأحسب أنه بناء على هذا يمكن أن تقول : إننا كنا

أن أقبل سيليزيت ! لا بد أن تكون غاية فى الخيرية وغاية فى الجمال مادمت تحبها وهي تحبك . سأحبها حتما أكثر من حبك إياها ، لأن التعاسة علمتني كيف أحب . والآن أنا سعيدة بأن تألت كثيرا ، وأستطيع أن أقاسمكما الخير الذى يناله الأشقياء أثناء آلامهم . يتخيل إلى أن الغداء الذى دفعته أنا يكفي لأن يفقدنا نحن الثلاثة ، وأن القدر لن يطالبنا بعد بشيء . وأنا نستطيع منذ الآن أن نتحقق من وجود حياة قيمة ، وأنا لن نشغل بعد ذلك إلا بالسعادة ؛ فأنت وأنا وسيليزيت كما نبأتني عنها نظفر بالسعادة ، لأن السعادة لا تتبع إلا من نواحي الخير التى فى داخل أنفسنا . سوف لا يكون عندنا ما يشغلنا إلا أن نصبح غاية فى السمو حتى يحب كل منا الآخر أكثر مما يحبه الآن ، وحتى نصير أخيارا بقدر ما نتحاب فيما بيننا . إننا سنشغل نفوسنا ونحوط أشخاصنا بالحب حتى لاندع فيها مجالاً للشقاء ، ولا للحزن ؛ وإذا أراد الشقاء والحزن أن يتدخلنا بيننا على رغم كل هذا فيجب أن يصيرا عذيين قبل أن يطرقا بابنا »

سيليزيت — هل هي جميلة ؟

ميلاندر — من هي ؟

سيليزيت — أجلائين

ميلاندر — نعم هي جميلة جداً .

سيليزيت — من تشبه ؟

ميلاندر — إنها لاتشبه أية واحدة من النساء .

إنه جمال من نوع آخر ، وهذا هو كل ما أقول . إنه جمال أكثر غرابة وأكثر سموا . إنه جمال ذو نواح متعددة . إنه جمال يدع الروح دائما تنعكس على الوجه دون أن يحول بينها وبين ذلك الانعكاس مرة واحدة ، وسترين أن لها شعرا يصح أن يكون المفرد العلم فى بابه ، شعرا يضحك حين تكون

سعداء ، ومع ذلك فاني أراني مضطرا أحيانا إلى أن أسأل نفسي : هل يعيش كل منا قريبا من الآخر؟ ولست أدري هل أنا الذي يعوزه الصبر لكي أتبعك أو أنت التي تهربين مني بسرعة فائقة ، ولكن الذي لاشك فيه هو أنني حينما أريد أن أحادثك كما حدث منذ لحظة ، فانك في أغلب الأحيان تكونين كأني تجاوزتني من الطرف الآخر للعالم حيث تفرين مني وتبحثين عن مأوى آخر ، ولا أعرف لشيء من هذا كله سببا . فهل حقا أن أرواحنا تروغ إلى هذا الحد من المواقف الجدية أو من ذكر الحقائق التي تتعلق بالحب ؟ ثم ألم يحل هذا التباعد الروحي بيننا وبين بعض الأشياء التي كانت تستطيع أن تربط بيننا أكثر من قبل الشفاء ؟ أنا لست أدري لماذا أحس هذا الاحساس الليلة أكثر من كل وقت آخر ؟ هل السبب في هذا الاحساس هو ذكريات « أجلافين » الأكثر حيوية ، أو هو رسالتها التي بين أيدينا ، أو هو قدومها الذي أصبح مناقب قوسين أو أدنى ؟ ذلك القدوم الذي سيستخلص حتما بعض الشيء من قلوبنا .

يخيل إلى أننا قد تحايينا بقدر ما يستطيع النوع الانساني أن يتحاب ، ولكن حينما تحضر « أجلافين » سيزداد حبنا ، وسيكون من نوع آخر أكثر عمقا ؛ ولهذا السبب على الأخص ، أنا سعيد بقدومها ، أما وأنا وحدي فلا أستطيع هذا النوع الجليل من الحب ، لأنني لا أملك القوة التي عندها وإن كنت أرى الأشياء كما تراها . إنها إحدى هذه الكائنات التي تعرف كيف تجمع القلوب إلى منابعها ، وحينما تكون هنا سوف يشعر كل واحد منا بأنه لا فرق بين ما هو عليه وبين الحقيقة .

سيليزيت — أحبها ، فإذا أحببتها فسأصرف

ميلياندر — سيليزيت ... !

سيليزيت — أنا أعرف أنني لا أفهم ذلك ميلياندر — أنت تفهمين ياسيليزيت — وإن كنت لا تريد أن تعترفي بذلك — ولولا أنني واثق من هذا لما حدثت لك عن كل ذلك ؛ إن لك روحا أعمق مما تظهرين لي ، وهذه الروح العميقة هي التي تلهين باخفائها عني حين أبدأ في البحث عنها لا تبكي ياسيليزيت فليس ذلك تأنيبا لك من جانبي سيليزيت — أنا لا أبكي ، ولماذا أبكي ؟ ميلياندر — ومع ذلك فأنا أرى شفتيك ترتعشان سيليزيت — إنني كنت أفكر في شيء آخر لا علاقة له ألبتة بما تقول ، هل كانت شقية حقا ؟ ميلياندر — نعم إنها كانت شقية بسبب شقيقك سيليزيت — لعلها تستحق ميلياندر — أنا لا أدري إذا كان في العالم سيدة تستحق أن تكون شقية

سيليزيت — ماذا عمل لها أخي ؟ ميلياندر — إنها توسلت إلى ألا أبنيك بشيء مما فعله أخوك معها

سيليزيت — هل كنتم تراسلان ؟ ميلياندر — لقد أريتكم رسائلها أكثر من مرة ولكنك لم تكوني تهتمين بقراءتها

سيليزيت — لا أتذكر ذلك ميلياندر — ولكني أنا أذكره جيدا سيليزيت — أين رأيتها آخر مرة ؟

ميلياندر — أنا لم أرها إلا مرة واحدة ؛ ولقد قلت لك ذلك آنفا ؛ ولقد كان ذلك في حديقة قصر شقيقك تحت الأشجار الوارفة الغلال

سيليزيت — في المساء ؟ ميلياندر — نعم في المساء سيليزيت — ماذا كانت تقول ؟

ميلياندر — لقد قلنا يومئذ شيئا قليلا ولكننا استطعنا أن نرى أن غابتنا واحدة

بها ؛ ولو أنك لم تكونى هنا لما استطعت أن أرى
نفسى . أنا لا أجد شخصيتى ولا أبتسم لنفسى ،
بل أنا لا أحبها إلا فى ذاتك أنت . ينخيل إلى غالباً
حين أعانقك أننى أعانق باكياً جزء نفسى الذى
ليس من هذا العالم الأرضى .

أجلائين - وأنا أيضاً أقول بدورى ياميلياندر
حين أعانقك أننى أعانق نفسى بعد أن أصير أكثر
جمالاً ؛ أنا لست حقيقة من الحقائق إلا حين تكون
بجانبي ، ولا أسمع صوت نفسى إلا ممتزجاً بصوتك .
إننى أبحث عن نفسى خارج ذاتى فلا أجدها
إلا ممثلة فيك . أنا لم أعد أعرف إذا كنت أنت
ضوئى أو أنا نورك . إن امتزاج ذاتينا قد وصل إلى
حد لا استطاع معه تمييز أين يبدأ أحدهما وأين ينتهى
الآخر . إنى أشعر أننى أزهر فى نفسك كما تزهو
فى نفسى ، وأن كلاً منا يتوالد فى نفس الآخر
بدون انقطاع .

ميلياندر - إنه لا يوجد شئ يباعد بيننا قليلاً
إلا تلك الدهشة التى تخالج نفسيهما .
أجلائين - هذا حق ؛ إننى أدهش نهاراً وليلاً
من أن كائناً مثلك يوجد فى الحياة الواقعية .

ميلياندر - وأنا أيضاً أعترف بأن جميع
حواسي لم تعد كافية لأن أفهمك . إننى أحسبني
أحلم حين أراك ، وأحسبني أحلم حين أسمعك ،
وأظن أننى فى حلم حين لا أراك . وأعتقد أننى
مخدوع حين لا أسمعك . فأتجه نحوك ظناً أننى
لا أزال مخدوعاً فأراك وأسمعك وأعانقك ، وفى
هذه اللحظة نفسها أريد أن أفر ، لأبحث عن شئ
أكثر تأكداً من هذا .

أجلائين - وأنا أيضاً حينما أكون بجانبك
أود أن أبعدك عنى لكي أراك أكثر امتزاجاً بى
حين أكون منفردة ، ولكننى حين أكون وحدى

سيليزيت - وهل تعانقنا

ميلياندر - متى ذلك ؟

سيليزيت - فى نفس ذلك المساء

ميلياندر - نعم تعانقنا فى ساعة الفراق

سيليزيت - آه . . .

ميلياندر - أنا لا أظن أنها ستمكث بيننا زمناً

طويلاً يا سيليزيت

سيليزيت - بلى ، أنا أريد أن تمكث

بينما الزوجان على هذه الحال إذ سمعا ضجيجاً
خارج المنزل فصاحت الزوجة قائلة : إنها جاءت ثم
قفزت إلى النافذة وقالت إنه يوجد فى الممر الأسفل
مصباح ، ثم تلت ذلك لحظة من السكون فتح الباب
على أثرها وظهرت على عتبة « أجلائين » التى لم
تلبث أن دخلت واتجهت نحو سيليزيت بعد أن نظرت
إليها نظرة قصيرة فاحصة

ميلياندر - تعانقا

أجلائين - نعم . وعانقت سيليزيت ثم اتجهت

نحو ميلياندر وعانقته قائلة : وأنت أيضاً

الفصل الثانى

المنظر الأول

يجرى هذا المنظر فى حديقة القصر حيث يجلس

ميلياندر وأجلائين على مقعد فى هذه الحديقة

ميلياندر - لم يمض بعد أسبوع على مقامنا

تحت سقف هذا القصر ، ولكننى لا أستطيع أن
أتخيل أننا لم نولد فى مهد واحد ، ينخيل إلى أننا لم
نفترق قط وأننى عرفتك قبل أن أعرف نفسى ،
إنك تظهرين لى سابقة على كينونتى نفسها . إننى
أحس بروحك أكثر مما أحس بروحى . إنك
أكثر قرباً إلى من كل ذاتى . ولو أنه قيل لى : نج
حياتك لبادرت إلى تنجية حياتك أنت لى أحياء

ميلاندر - ولكن هل كنت تستطيعين أن
تجيبني كما أحبك قبل أن تربني ؟
أجلافين - وأنت هل رأيتني كما رأيتك قبل
أن ألتقي بك ؟

ميلاندر - أنا لا أصدق أن ما يحدث لنا الآن
قد حدث لأحد غيرنا وأن توجد حياة أخرى تشبه حياتنا
أجلافين - آه إنني أعتقد أحياناً أن ذلك مستحيل
ميلاندر - وأنا أيضاً ، ولهذا أرتاع .
أجلافين - من ماذا أنت مرتاع ؟ لقد وجد
كل منا صاحبه ، فإذا يمكن أن يخشى بعد ذلك ؟
ميلاندر - بالعكس إنما يجب على المرء أن يرتاع
أكثر حينما يكون سعيداً . إنه لا يوجد شيء يهدد
الإنسان أكثر من السعادة ، وإن كل قبلة تتبادل
بين الحبيبين يمكن أن توقظ عدواً جديداً ، وفوق
ذلك فإن هناك شيئاً آخر .

أجلافين - ماهو ؟

ميلاندر - هي سيليزيت .

أجلافين - ثم ماذا ؟

ميلاندر - هل فكرت في سيليزيت ؟

أجلافين - نعم

ميلاندر - أو ليس يروعك هذا ؟

أجلافين - لا . هذا لم يمد يروعي

ميلاندر - إنها يمكن أن تتألم

أجلافين - ألا أستطيع أن أحبك كشقيق

يا ميلاندر ؟

ميلاندر - ومع ذلك فإذا بكيت فإذا يكون ؟

أجلافين - إنها لن تبكي طويلاً إذا صعدت

إلى صفنا . لماذا لا تصعد معنا إلى الحب الذي يتجاهل

صغار الحب ؟ إنها خير مما نعتقد يا ميلاندر ، إنها

سنمد إليها يدينا ، وإنها ستعرف كيف تلحق بنا ،

ومتى تحقق لها ذلك ، فإنها لن تبكي . إنها ستباركنا

أشعر بشيء يجذبني إلى البحث عنك ، لأنني أعتقد
أن روحك تنتظرني بحالة أكثر عمقاً ألف مرة مما
أستطيع أن أتخيله . أنا لم أعد أعرف ماذا ينبغي
عمله في وسط سعادة كسعادتنا . إنه ليخيل إلى أحياناً
أنني شقية من فرط السعادة .

ميلاندر - أين كنت توجدني أثناء السنين
التي مرت قبل أن يعرف كل منا الآخر .

أجلافين - أنا كنت أفكر في أن أوجه
إليك هذا السؤال نفسه ، لأن روحنا تتكلمان
غالباً قبل أن ينفرج ثغراننا عن ألفاظ .

ميلاندر - ومع ذلك فإنك حين تتكلمين
فإنما هو صوتي أنا الذي أسمعه للمرة الأولى .

أجلافين - وأنا حينما نتحدث إلى فأنما هو
قلبي الذي أستمع إليه ، وحينما أصمت فأنما أستمع
إلى قلبك . أنا لا أستطيع أن أجد قلبي دون أن
أتلاقى مع قلبك ، ولا أستطيع أن أبحث عن قلبك
دون أن أجد قلبي .

ميلاندر - إن روحنا كان يجب من غير
شك أن تكونا في جسم واحد ، ولكن لست
أدرى لماذا وضعهما الإله في جسمين مختلفين .

أجلافين - أين إذا كنت أثناء هذه الأعوام
التي كنت أحياء منفردة ؟

ميلاندر - كنت أنتظرك منفرداً أيضاً وإن
كان ذلك بلا أمل .

أجلافين - وأنا أيضاً كنت أنتظر منفردة ،
ولكنني كنت أؤمل .

ميلاندر - ولكن من الذي قال لك : إن
أحدنا من هذا النوع ينتظرك .

أجلافين - لم يقل لي أحد شيئاً ، ولم أك أعرف
شيئاً إلا أن يكون المرء يعرف دون أن يعرف ، ولقد
كنت أعرفك دون أن أراك .

ولكن يجب ان نعمل كما لو كنا نعرف ، وإذا كان لابد من الخطأ فالأفضل ان يخطئ الانسان على نفسه
ميلياندر — أنا أعرف ذلك ، ولكن كيف العمل ؟ .

أجلافين — إن القدر قد قرب بيننا فتعارفنا بهيئة قد لا يكون أحد سبقنا إليها ؛ لقد أحب كل منا الآخر جداً لا يستطيع شيء في الدنيا أن يغيره فيمنحك من أن تحبني أو يمنعني من أن أحبك .
ميلياندر — إنني أعتقد ما تعتقدن ولا أرى شيئاً في العالم

أجلافين — ومع ذلك فلو أنني أبكيتك كائناً طاهراً، هل ستظل تعرفني ؟ .
ميلياندر — إنه من غير الممكن أن يبكي أحد بسبك إلا إذا كان مخدوعاً .
أجلافين — إن الدموع التي تنسكب خطأ هي مؤلة أيضاً .

ميلياندر — إنه لم يبق لنا إلا أن يغادر كل منا صاحبه يا أجلافين ، ولكن هذا مستحيل ، لأنني لا أستطيع أن أتخيل أن حبنا ولد ليفنى في الدموع ؛ وفوق ذلك فإنه يجب علينا أن نؤدى واجبنا نحو أنفسنا
أجلافين — أنا أعتقد ذلك أيضاً يا ميلياندر ، وأعتقد أن هناك شيئاً أفضل من الفراق ، لأن هذا الحب الجميل لم يولد لميت .

ميلياندر — أنا لا أعرف لماذا ولدت هذه الأشياء ، ولكنني أعرف أن الدموع تحيى على غير انتظار .

أجلافين — إذا كان هناك أحد يجب أن يتألم فينبى أن نكون نحن . إن هناك ألف واجب ولكنني أعتقد أن الانسان لا ينخدع إلا نادراً حيناً يجتهد في ان يرفع الألم عن الضعفاء ، ليحتمله هو نفسه
ميلياندر — (ضاماً إياها بين ذراعيه) : إنك لجيلة يا أجلافين .

بدموعها ، لأن بعض الدموع خير من القبل .
ميلياندر — هل تصدقين أنني أحبك كأخت ؟
أجلافين — آه !
ميلياندر — وهل تعتدين أنك تستطيعين أن أن تحبيني كأخ ؟ .

أجلافين — حيناً تسألني عن هذا لا أعرف عنه شيئاً .

ميلياندر — لم أعد أستطيع أن أصدق ذلك ، إننا سنجاهد وسنقاوم وقتاً طويلاً ، وإن أبدع قوانا التي سنكسبها من الحب النفيس أو من الجمال النقي أو من الحقيقة العميقة سنهلك في هذه المغالبات العابثة ، وبقدر ما نقاوم سنجد بيننا رغبة تشبه ستاراً تريد كشفه شيئاً فشيئاً حتى تنهاى في الظلمة . ولا شك أن أسى نواحي أنفسنا ستندم أمام هذه الرغبة . يحيل إلى أنه لا يوجد في أعماق كل هذا إلا أشياء نافهة بين روحين وبين سعادتهما . هل النجوم والأزهار ، أو المساء والصبح . أو الفكر والدموع . لا تتطور تبعاً للقبل التي تتبادلها معاً ؟ بل هل الليل نفسه له في نظر الأخت عين العمق الذي هو في نظر العشيق ؟ ينبغي ألا نغلق الباب دون الحقيقة العميقة فنور حياتنا سيتضاءل أمام هذه الكذبة الصغيرة . أنت لست أختي يا أجلافين ، وأنا لن أستطيع أن أحبك كأخت .

أجلافين — إنه لحق أنك لست أختي ، وهذه نقطة آلامنا من غير شك .

ميلياندر — أنت أيضاً إذا تحبين الألم العاث
أجلافين — أنا لا أحب إلا الألم الذي أحتمله عن الآخرين .

ميلياندر — وأي ألم ذلك الذي نحمله هنا عن الآخرين دون أن نفقد أنفسنا مالدينا ؟

أجلافين — نحن لا نعرف ذلك حتى الآن ،

يسألني الصفح عنه ، وحينما يتعانقان يجب أن أختفي كما لو أنني كنت قد سرقت شيئاً . إنهما قد خرجا أيضاً هذا المساء ، لقد غاب عني أثرهما في الحديقة . إن سيليزيت الصغيرة لا علم لها البتة بسرهما ، وإنه لم يعد يتحدث إليهما أحد منهما إلا باسمًا ولا يتقدم إليها إلا بقبلة فوق الجبهة أو بشيء من الزهور أو الفواكه . إن سيليزيت الصغيرة محمية الآن بهذه الأجنبية ، إنهما يعانقانها باكيين ، ليقولا فيما بينهما وبين أنفسهما : أوه ! يا للمسكينة الصغيرة ! إنها لن تنصرف ، ولكنها لن ترى شيئاً . على أثر ذلك يتناول كل منهما يد صاحبه ، نعم نعم إلى هذه اللحظة . . . صبرا صبرا . . . إن سيليزيت سيكون لها يومها ، إنها لا تعرف إلى الآن ماذا تفعل ، ولكن صبرا صبرا ، سنرى »

وبينما هي كذلك إذ بها تلمح أجلائين نائمة على المقعد الملاصق للحفرة ، فاقتربت منها قائلة : إنها منفردة أيضاً ، وهذا الذي على وجهها ؟ أهو شعاع القمر ؟ أم هو نصيفها ^(١) الأبيض ؟ إنها نائمة ، ماذا سأعمل ؟ إنها لعل شاطئ الحفرة من حيث لا أدري ، فلو أنها تحركت أقل حركة لسقطت في الحفرة ، وفوق ذلك فقد أمطر المطر ، وإنها قد غطت رأسها ، ولكن صدرها ظل مكشوفاً ، إنها مبللة بالمياه وستصاب بصدمة برد ، لأنها لا تعرف جو هذه البلاد ، هل سقطت على هذا المقعد أو هي مريضة ؟ آه . إنها تضطرب في نومها ، سأعطيتها معطفي ، ثم غطت أجلائين بمعطفها وأزاحت النقاب عن وجهها . إنها تنام نوماً عميقاً . أنا أظن أنها بكيت ، إنها لا تلوح عليها علامة السعادة ولا يظهر على وجهها أنها أسعد مني ؛ إنني أرى أنها لا تزال

أجلائين (ضامة إياه بدورها) : إنني أحبك يا ميلياندر .

ميلياندر — هل أنت التي تبكين يا أجلائين ؟

أجلائين — لا ، لست أنا ، وإنما نحن .

ميلياندر — وهل نحن أيضاً الذين تضطرب ؟

أجلائين — نعم

(في هذه اللحظة أخذ الجليان يتعانقان بحركة

وبينهما كذلك إذ سمعا صيحة ألم ثم رأيا سيليزيت فارة نحو القصر والهواء يعبث بشعرها)

ميلياندر — ها هي ذى سيليزيت .

أجلائين — نعم .

ميلياندر — إنها سمعتنا وفرت نحو القصر .

أجلائين — (قائلة وهي تشير إلى سيليزيت) :

إذهب إليها .

ميلياندر — نعم

(قال هذا وانفلت مسرعاً نحو سيليزيت بينما

استندت أجلائين إلى شجرة من أشجار الحديقة وأخذت تبكي بكاء صامتاً)

المنظر الثاني

يقع هذا المنظر في حديقة القصر على شاطئ حفرة مفعمة بالمياه حيث ترى أجلائين نائمة على مقعد من الحجر ملاصق لحافة الحفرة .

سيليزيت تحدث نفسها قائلة : « سيليزيت الصغيرة لا ينبغي أن تبكي ، إنه يشفق عليّ ، لأنه لم يعد يحبني ، وأنا كذلك لم أعد أحبه ، إنهما يعتقدان أنني سأظل هادئة ، وأنه حسبي أن يعانقني وهو متجه إلى ناحية أخرى .

سيليزيت — سيليزيت ، هذه الكلمة تقال بخنان ، وبخنان أكثر من المعتاد ، إنه ينظر إلى شيء آخر حين يعانقني الآن ، أو هو ينظر إلى كأنما

(١) النصيف : الثقاب

أجلافين - أنا أرجوك ألا تحاولي الفرار في اللحظة التي كل مافي كينونتك من عمق وسعة قد أراد أن يتجه نحوي . هل تعتقدين أنني لا أسمع الجهود التي تتفاعل الآن في نفسك؟ هل تعتقدين أن كلاً منا سيكون أكثر قرباً إلى صاحبه في أي وقت آخر منه الآن؟ لا ينبغي أن نضع كلمات نافهة تشبه الشوك بين قلوبنا المسكينين، فلتحدث ككائنين مسكينين من بني الإنسان كما هي حالتنا وكما يتكلم كل كائنين بقدر ما يستطيعان، أي بأيديهما وأعينهما وروحيهما كما أرادا أن يتحدّثا عن شيء أكثر حقيقة من أن تسمو إليه الألفاظ . هل تعتقدين أنني لا أسمع قلبك حين ينبض بمختلف العواطف وشئ الاحساسات؟ عاتقيني في هدوء هذا الليل ودعيني أحوطك بذراعي، وإذا لم تستطعي أن تجاويني فلا تهتمي لذلك، لأن في داخل نفسك شيئاً أنا اسمعه كما تسمعينه أنت سواء، بسواء .

سيليزيت - (باكية) أجلافين . . .
أجلافين - (باكية) وأجلافين أيضاً تبكي ، إنها تبكي ، لأنها تحبك ولأنها هي أيضاً لا تستطيع أن تقول بالضبط ما ينبغي لها أن تعمل وما ينبغي لها أن تقول . هانحن أولاً، وحدنا ياسيليزيت المسكينة؛ هانحن أولاً، وحدنا ، فلتضم كل واحدة منا الأخرى في هذه الظلمة . إن السعادة أو البأساء، اللتين ستزلان بنا قد يوضع تصميم مصيرها في هذه اللحظة في داخل أنفسنا ، ولكن أحداً لا يستطيع أن يعرف ذلك ، وإنني كلما أسألك المستقبل عما يمكنه لنا لا أجد جواباً على سؤالي إلا الدموع . أنا أعتقد أنني أكثر حكمة ، وحينما تجيء اللحظة التي تبني فيها المعرفة فسأشعر أنني محتاجة إليك أكثر مما محتاجين إلى . ولهذا السبب أنا أبكي ، ولهذا السبب أنا أعابقك هكذا حتى يقترب كل واحد منا من صاحبه بقدر استطاع

تبكي ، إنها الجميلة حين تكون ممتعة هكذا حتى لكأنها ممزجة بأشعة القمر ! لا ينبغي إبقاؤها بفتة لأنها يمكن أن ترتاع فتسقط في الهوة . قالت هذا وانحنت عليها برقة ثم نادتها بهدوء : أجلافين أجلافين !
أجلافين (مستيقظة) : آه ! الجو مضى ، سيليزيت - خذي حذر إنك على الشاطئ ، لا تتحركي فياً خذك الوهم .

أجلافين - أين أنا؟
سيليزيت - إنك على حافة خزان المياه الحلوة للقصر ، ألم تكوني تعرفين ذلك؟ وهل جئت وحدك إلى هنا؟ كان ينبغي أن تحتاطي ، إن هذا هو المكان الخطر .
أجلافين - يا بني لم أكن أعرف ذلك ، لأن الجو كان مظلماً فلم أر إلا هاتيك الشجيرات التي حالت بيني وبين رؤية الماء ، وإلا هذا المقعد ؛ وقد كنت حزيناً ومتعبة فتمت .

سيليزيت - هل أصابك البرد؟ أحكي على جسمك المعطف .

أجلافين - ما هذا المعطف؟ إنه لمعطفك يا سيليزيت ، إنك أنت التي غطيتني حينما كنت نائمة ، لكن أنت التي أصابك البرد ، تعالى هنا لأدرك أيضاً . إنك ترتعشين أكثر مني . قلت هذا والتفتت نحو الحفرة ثم صاحت : آه . . . الآن قد أشرق القمر ، فأنا أرى الماء يلمع بين جدران الهوة فلو أنني تحركت أدنى حركة . . . هل أنت . . . ياسيليزيت . . . (ثم نظرت إلى سيليزيت)

سيليزيت - لا تمكث هنا ، هذا هو مكان الحمى أجلافين - لا ينبغي أن نضيع فرصة مثيلات هذه اللحظات ، لأنها لا تتكرر . لقد رأيت روحك ياسيليزيت ، لأنك أحببتني بالرغم منك حين أيقظتني آنفاً .

سيليزيت - إننا سنصاب بالبرد يا أجلافين .

طبقاً لما يتركز في نفسينا من عواطف ، لقد آلمتكم كثيراً في هذا الصباح .

سيليزيت — لا لا ، أنت لم تؤليني .

أجلافين — لا ، بل آلمتكم كثيراً في هذا الصباح ، وأريد ألا أقدم إليكم شيئاً من ذلك في المستقبل ، ولكن ما ذا ينبغي أن يعمل الإنسان حتى لا يؤلم من يحبه ؟ لكأنني بالحب هو منشأ الألم ، إذ لا يكاد المرء يحب الآخر حتى يكون هذا الحب مجلبة لآلام المحبوب ، وهكذا في اللحظة التي أحسست فيها بأنني أحببتكم أكثر من ذي قبل ، طبعتم علي خدك القبلية التي أبكتكم للمرة الأولى .

سيليزيت — لقد بكيت يا أجلافين ، ولكنني لم أكن عاقلة ، وسوف لا أبكي بعد الآن .

أجلافين — يا سيليزيتي المسكينة : إن الشخص لا يعرف بالضبط متى يكون عاقلاً ؛ ولا ينبغي أن نسأل الذين سيكونون : هل هم متعقلون أو غير متعقلين ؟ وإنما يجب أن نبحث بكل بساطة عما ينبغي أن يتخذ من الوسائل لمنعهم من البكاء .

سيليزيت (باكياً) — أجلافين !

أجلافين — ماذا حدث ؟ إنك لشديدة الاضطراب

سيليزيت — إنني لم أكن قد رأيتكم نائمة

قبل الآن يا أجلافين .

أجلافين — سترينني نائمة منذ الآن كثيراً

يا سيليزيت .

سيليزيت — إنه لم يتحدث إلي أحد قط

بهذه الطريقة .

أجلافين — بلى ، بلى ، يا سيليزيتي المسكينة .

من المحتمل أن يكون قد قيل لك ما يقال للناس جميعاً ، لأن كل أحد يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام متى أراد ، ولأن كل كائن لا بد أن يظفر بسمع مثل هذا الأسلوب متى انتهر فرصة الحديث الضروري له ، ولكنك أنت لا تعرفين إلى الآن

كيف تسمعين ذلك .

سيليزيت — إن المستقبل لا يشبه الماضي في

هذه الناحية ، بل إنه شيء آخر يفايزه تماماً

أجلافين — إن هذا الذي كنت لا تسمعينه

يا سيليزيت لا يمكن أن يسمع بالأذن ؛ وهذا الذي

تسمعينه الآن لا تسمعينه بأذنك حقاً ، لأنك في

الحقيقة لا تسمعين الألفاظ التي أقولها لك ، وإنما

تسمعين أنني أحبك .

سيليزيت — وأنا أيضاً أحبك

أجلافين — ولهذا أنت تسمعين وتفهمين جداً

ما لا أستطيع أن أقوله : ليس يدانا وحدهما هما اللتين

تتعاقدان الآن يا سيليزيت المسكينة ، ولكن ملياندر

يحبك أيضاً ، فلماذا لا تسمعين إليه ؟

سيليزيت — إنه ليس مثلك يا أجلافين .

أجلافين — إنه خير مني ، إنه لا بد أن يكون

قد تحدث إليك أكثر من مرة وبأسلوب لا أستطيع

أن أصل إليه .

سيليزيت — لا لا ، ليس الأمر واحداً في

الحالتين ؛ اسمي : أنا لا أستطيع أن أقول لك بالضبط

ما معنى هذا ؟ وإنما كل ما أعرفه أنه حينما يكون

موجوداً أختبي في داخل نفسي ، أنا لا أريد أن

أبكي ولا أريد أن يعتقد أنني أفهم ما يجري ، لأنني

أنا أحبه أكثر مما ينبغي .

سيليزيت — أوه ، إنني بدأت أحبك يا أجلافين

أجلافين — أنا أحبك منذ وقت طويل يا سيليزيت

سيليزيت — أما أنا فلا ، لأنني حين رأيتك للمرة

الأولى لم أكن أحبك ثم أحببتك مع ذلك . لقد تخليت

لك سوءاً في وقت من الأوقات ، ولكنني لم أكن أعرف

أنك هكذا ، لو أنني كنت في مكانك لكنت مؤذية .

أجلافين — لا لا يا سيليزيتي المسكينة ، إنك

في داخل نفسك لست خبيثة ولم تكوني لتصبحي

مؤذية ، وإنما فقط كنت لا تعرفين كيف يكون
الانسان خيراً حينما يكون شقيماً . يحتمل أنك كنت
تظنين إذ ذاك أن واجبك يقضي عليك بأن تكونى
مؤذية مادامت الشجاعة تُعزّزك لأن تكونى خيرة
يتمنى الانسان الشر لجميع الذين يهينونه ولكن
عند ما يحدث لهم أقل ألم تنعكس الآية ، ويتمنى
أن يمنحهم كل ماله من سعادة حتى يحول بينهم وبين
البكاء ، ولكن لماذا لا يحبهم قبل ان يصبحوا نساء ؟
لا يخطئ الانسان إذا أحبهم مقدماً ، لأنه لا يوجد في
هذه الحياة كائن واحد يستمتع بالسعادة طول حياته .
سيليزيت — أريد أن أعانقك مرة أخرى
يا أجلافين إن هذا لشيء عجيب ، في مبدأ
الأمر لم أكن استطيع ان أعانقك . كنت اهرب
فك ولا ادرى لماذا . والآن ، هل يقبلك غالباً ؟

أجلافين — هو . . ؟

سيليزيت — نعم

أجلافين — نعم ياسيليزيت ، هو يقبلني ، وأنا
أقبله أيضاً .

سيليزيت — ولماذا ؟

أجلافين — لأنه توجد اشياء لا يمكن ان تقال
إلا في حالة العناق ، وذلك لأن أكثر الأشياء عمقا
ونقاء لا يمكن ان تبرز من الروح إلا حين تدعوها
القبل للبروز .

سيليزيت — أنت تستطيعين أن تقبله أماً
يا أجلافين .

أجلافين — أنا ان أقبله بعد الآن إذا كنت
تريدين ذلك ياسيليزيت .

سيليزيت — (باكية فجأة) وتستطيعين أن تقبله
دون أن أراكما .

(قالت هذا وانحنى على كتف أجلافين
واستمرت في البكاء) .

أجلافين — لا تبكي ياسيليزيت ، لأنك خير

مننا نحن الاثنين .

سيليزيت — أنا لا ادرى لماذا أبكى ، أنا لست
شقية ، أنا سعيدة بأن أيقظتك يا أجلافين .

أجلافين — وأنا أيضاً سعيدة بأن أيقظتك
يا سيليزيت^(١) . تعالى ننصرف من هنا ، إذ لا ينبغي
المكث طويلاً في نفس المكان الذي سعدت فيه
روحانا بما لم يتح للنوع الانساني ان يسعد به .

المنظر الثالث

يقع هذا المنظر في جناح من اجنحة القصر
حيث تشاهد سيليزيت وميليجران جدتها العجوز
في نهاية القاعة يتحادثان تحت ستار الظلام
ميلييجران — انت لم تعودى تقوين على الاحتمال
ياسيليزيتى السكينة ، لا تقولى : لا . لا تهزى رأسك
بجففة دموعك .

سيليزيت — ولكن يا جدتى أنا قلت لك : إننى
أبكى لأننى سعيدة .

ميلييجران — لا يبكى الانسان هكذا حينما
يكون سعيداً .

سيليزيت — بلى ، إن السعيد يبكى هكذا مادمت
أنا أبكى هكذا .

ميلييجران — إستمعي إلى ياسيليزيت ، لقد
سمعت ما كل قصصته على هذا المساء في موضوع
أجلافين ، أنا لا أعرف أن أتكلم مثلها ، أنا لست
إلا امرأة عجوز لا تعرف شيئاً كثيراً ، ولكننى
تأملت أيضاً في شبابى . أنا ليس لى في العالم إلا أنت ،
وإننى أقرب من القبر ، وكل هذه العوامل تظهر
لنا من الحقائق ما قد يكون أقل جمالا مما تحدثنا عنه
أجلافين ، ولكن ليس من اللازم دائماً أن تنتصر
الحقائق إذا أكثر جمالا على الحقائق الأكثر بساطة

(١) المراد بالجملة الأولى هو إيقاظ سيليزيت لأجلافين من
فوق حافة الهوة والمراد بالجملة الثانية هو إيقاظ أجلافين
لسيليزيت من الناحية الروحية .

هو ذلك الذي تسكينه ، ولكنني قلقة منذ بضعة أيام ، ولقد قلت لنفسى أكثر من مرة : إن وراء هذه الحقيقة التي يمكن أن ندرکہا حقيقة أخرى أكثر خطراً وعمقاً وإمها تنتظر في أعماق نفوسنا ساعتها المحددة ، وإن كل كماننا لا تستطيع أن تمحو بسمتها ولا أن تجفف الدموع من عينيها ، وإنني أعتقد أنني وجدت اليوم هذه الحقيقة التي تصيرنا برغم مجهوداتنا ، وداعاً يا سيليزتي ، قبليني فقد تقدم بنا الليل ، وميلاندر ينتظرك

سيليزت — ألا تجيئين لتقبيله معي
أجلافيين — أنا لن أقبله بعد الآن، أنا سأقبلك أنت حين سنكون معا ، وسأستطيع أن أقول له كل ما ينبغي أن يقال له كما لو كنت أقبله

سيليزت — ماذا حدث ؟ إن عينيكَ تلمعان كأنك تخفين عنى شيئاً .
أجلافيين — بالعكس إن عيني تلمعان ، لأنى لم أعد أخفي شيئاً ، لقد عرفت أنه يحبك ، إنه يحبك بهيئة أعمق مما كان يظنه هو نفسه

سيليزت — وهل قال لك ذلك ؟
أجلافيين — لا ، ولو أنه قاله لى لما كنت متأكدة منه مثل تأكدي الآن

سيليزت — لكن ، وأنت ؟ ألم يعد يحبك ؟
أجلافيين — إنه يحبني أقل مما يحبك
سيليزت — أوه يا أجلافيين المسكينة إن هذا غير ممكن ، لماذا هو يحبك أقل منى ؟ ماذا تريد أن أفعل ؟ ينبغي ألا تظلي وحدك هذا المساء إذا كنت تعتقدين أنك لست سعيدة ، هل تريد أن أمكث معك ؟ سأقول له

أجلافيين — إذهبي الإذهبي ، أسرعي يا سيليزت ، أنا لن أكون أبداً أكثر سعادة في أى وقت مني في هذا المساء . قلنا ذلك ثم تعانقتا في صمت وخرجتا متتابعين
(البقية في العدد القادم)
محمد غريب

وشيخوخة . أنا لا أرى إلا شيئاً واحداً يا سيليزتي المسكينة وهو أنك — بالرغم من ابتسامتك التي تظهر فيها — عندما تعتقدين أنك منفردة تمتنعين وتبكين . لا ينبغي للانسان أن يغالب قواه النفسية إلى هذا الحد . عبثاً قيل : إن البكاء برهان عدم التمثل ، إذ حين يصل الانسان مثلي إلى نهاية الحياة يكون قد رأى كثيراً أن البكاء هو وحده برهان الحقيقة ، لأن القدر هو الذي يتحدث من خلال الدموع ، وأن الدموع التي تصعد إلى أعيننا إنما تنجى ، إليها من أعماق المستقبل
(إنهما كذلك ، وإذا بأجلافيين تدخل عليهما دون أن يلمحاهما)

ميليجران — (مستمرة في الحديث) لقد بكيت كثيراً يا سيليزتي المسكينة فبماذا تريد أن ينتهي كل هذا ؟ لقد فكرت طويلاً في هذا كله ، وأنا في هذه الزاوية واجتهدت أن أتحدث إليك بلهجة هادئة بالرغم مما أعانيه من ألم حين أراك تتألمين ظلماً . إنه لا يوجد من الحلول الانسانية امقدة هذه الأحران إلا حل واحد ، وهو أن تخفى واحدة منك إما بالموت وإما بالانصراف . ومن التي يجب أن تنصرف إذا لم تكن تلك التي أتى بها القدر متأخرة

سيليزت — ولماذا لا تكون التي أتى بها القدر متقدمة
أجلافيين — (متقدمة نحوها وهي تقول) : لايجي ، أحد قبل الأوان . يا سيليزتي المسكينة ، وإنما يجي ، كل في ساعة معينة ، وإنني أعتقد أن الجدة محقة
سيليزت — إذا كانت الجدة محقة ، فانتا ستصير تعيسات

أجلافيين — وإذا كانت الجدة مخطئة ، فانتا سنبنكي أيضاً . ماذا تريد أن يا سيليزت ونحن لا نملك إلا الاختيار بين دموعنا فحسب ؟ ولو أنني لا أستمع إلا إلى تعقلى الضعيف لقلت لك : إنه ينبغي أن نختار الحل الذي هو أكثر جمالا ، والأكثر جمالا هنا



خاطبتني بها هذا النهار «

وفيا عدا الفتية الصاحبين في الحانة كان جميع
أهل القرية في فراشهم نائمين ، فقتل داود في هدوء
إلى غرفته في بيت أبيه ، وجمع متاعه القليل في
حزمة حملها على عصا وانطلق في الطريق الخارجة
من فرنوى .

ومر بنعم أبيه وقد تجمعت في حظيرتها
الليلية - وهذه النعم هي التي كان يرعاها كل يوم
فيتركها مشردة بينما هو يكتب الشعر على قصاصات
من الورق ، فرأى نوراً لا يزال مضيئاً في نافذة إيفون ،
فزعزع غريمته شيء من الوهن المفاجئ . ومن
الجاثر أن يكون معنى ذلك النور أنها قد ندمت ،
ساهدة ، على ما بدا من غضبها ، وأن صباح الغد قد
يحمل معه ... ولكن لا ! لقد استقرت غريمته ،
فليست فرنوى بالمكان اللائق به ، فما فيها من
إنسان واحد يشاطره آراءه وأفكاره . وهناك على
مدى هذه الطريق يقوم حظه ومستقبله .

وكانت الطريق تمتد مسافة ثلاثة فراسخ في
خط مستقيم كأخود المحراث ، وهي مسافة قطعها
الفتى في الظلام . وكان أهل القرية يعتقدون أن هذه
الطريق تصل على الأقل إلى باريس . واسم باريس
هو الاسم الذي كان الشاعر يهتف به لنفسه في أغلب
الأحيان كلما مشى من مكان إلى مكان . ولكن

إني أسير في طرق كثيرة باحثاً عما سيكون .
أحل قلباً صادقاً قوياً يضيئه الحب
فهل ترى تقوم في هذه الطرق ، في معركة الحياة ،
إلى إصابة ما كتب لي في لوح القدر
أم إلى تفاديه أم إلى تلطيفه أم إلى تسويته ؟
« من الشعر غير المطبوع لداود ميجنوت »

انتهت الأغنية ، وكان المغنى هو داود ، وكان
المكان إحدى قرى الريف ، فصفت الجماعة
الصغيرة الملتفة حول مائدة الحانة تصفيقاً حاداً هو
صدى حماسهم القلبية ، فقد دفع الشاعر الصغير
ثمن الشراب . ولم يشذ عن الجماعة غير موسيو
باينزو مسجل العقود ، مكتفياً بأن هز رأسه عند
سماع ذلك الشعر ، لأنه من أهل العلم ولم يكن قد
شارك القوم في احتساء الخمر .

وانطلق داود إلى الطريق الرئيسية في القرية
حيث أطار هواء الليل ما بقي في رأسه من أثر الخمر
فذكر أنه وإيفون قد تشاجرا في أثناء النهار ،
وأنه قد اعتزم أن يغادر بيته تلك الليلة ليبحث
عن الصيت والشرف في العالم الواسع وراء هذه
القرية الضيقة .

وقال الفتى يحدث نفسه في شيء من الزهو
البهيج :

« ومتى جرى شعري على ألسن الناس جميعاً
فقد تفكر يومذاك في الكلمات الشديدة التي

ضخم كهامته ولكنه يرققه بالصناعة والعادة :
 « نتدخل إلى العربة » ، ولم يكن سامع هذا
 الصوت ليستطيع غير الطاعة ؛ وعلى الرغم من أن تردد
 الفتى لم يطل ، فإن تكرار الأمر من السيد قضى على
 كل أثر للتردد ، فارتفعت قدم داود من تلقاء نفسها
 إلى سلم العربة وقد رأى في الظلام سيدة جالسة على
 المقعد الخلفى ؛ وبينما هو يتأهب للجلوس على المقعد
 المقابل إذا بصوت السيد الضخم يخضعه لأمره من
 جديد وقد قال :

« لتجاس إلى جانب السيدة »

وجلس السيد على المقعد المقابل ، ومضت
 العربة تصعد المرتفع . وكانت السيدة منكشة في
 مكانها صامتة لا تنطق ولا تتحرك . ولم يكن في
 مقدور داود أن يحكم من منظرها إذا كانت صغيرة
 أو كبيرة ، ولكن شذا عطرياً رقيقاً انبعث من
 ملابسها أتى في روع خياله الشعرى أن وراء ذلك
 السر الغامض شيئاً جميلاً . إذن هو على باب إحدى
 تلك المغامرات التي كثيراً ما حلم بها ، ولكنه حتى
 هذه اللحظة لم يهتد إلى مفتاح ذلك الباب ، إذ لم
 ينبس أحد بكلمة في أثناء جلوسه مع رفقة الصامتين
 وبعد ساعة لاحظ داود من خلال النافذة أن
 العربة تجتاز طريقاً في إحدى المدن . ثم وقفت العربة
 أمام بيت مغلق مظلم ؛ ونزل أحد الخدم من العربة
 فدق الباب دقاً عنيفاً سريعاً ، ففتحت نافذة مشبكة
 من الطابق العلوى وأطل منها رأس معصوب وسمع
 صوت يقول :

« من أنتم يا من تقلقون الأشراف الناعمين في
 مثل هذه الساعة من الليل ؟ إن بيتي مغلق . وليست
 مثل هذه الساعة هي الساعة التي يبق فيها السائحون

داود لم يتعد من قبل عن قرينه مثل هذه المسافة
 الطويلة .

طريق الشمال

قطع الفتى ثلاثة الفراسخ في خط مستقيم ، ثم
 وقف متحيراً ، فقد التقت الطريق بطريق أخرى
 أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة . فبقى لحظة
 لا يستقر على رأى ، ثم سلك طريق الشمال .
 وفي هذه الطريق العامة الأعظم شأنًا من سابقها
 رأى الفتى آثار عجالات حديثة المرور ، وبعد نصف
 ساعة رأى العربة التي خلفت هذه الآثار ، وهي
 عربة هائلة ثقيلة غرزت عجالاتها في مجرى موحل
 عند قاعدة تل شديد الانحدار ، وكان السائق
 ومساعدوه في فجة وصخب يشدون لجم الخيل في
 عنف ليستحثوها ولكن على غير طائل . وقد وقف
 على إحدى جانبي الطريق سيد ضخم الهامة يرتدى
 السواد ، وإلى جانبه سيدة هيفاء القوام متشحة
 بعباءة ضويلة خفيفة .

وأدرك داود افتقار الخدم إلى المهارة فيما يبذلون
 من جهد لإخراج العربة من وحلتها ، فتقدم في
 هدوء ، يتولى إرشادهم إلى ما يجب أن يعملوا ، فطلب
 من الخدم الواقفين خارج العربة أن يكفوا عن
 صخبهم وأن يوجهوا جهدهم وقوتهم إلى العجلات
 وأن يكتفي السائق وحده بتحسيس الخيل بصوته
 العادى . وأسند داود كتفه القوية إلى مؤخرة
 العربة ودفعها دفعة شديدة حركتها فاجتازت
 العجلات المجرى الموحل إلى الأرض الصلبة ، فأسرع
 الواقفون في الخارج بالتسلق إلى أمانهم .

ووقف داود لحظة على قدم واحدة ، فلوح
 الرجل الضخم الهامة بيده في الهواء وقال في صوت

«مولاي... لو كنت على علم بمقدمكم لأعددت ما يجب لمقامكم الرفيع من أسباب التكريم . وعندى الآن خمر ودجاجة باردة وقد يكون هناك . . . »
فقال المركزيز وقد بسط أصابع يده الغليظة البيضاء :
« الشموع . . . »

قال الرجل : « أمرك يا مولاي »
وأحضر ست شمعات أشعلها ووضعها فوق المائدة وقال :

« لعل مولاي يتفضل بتذوق نوع من خمر بورجندي فعندى قنينة . . . »
فقال السيد باسطاً أصابعه :
« الشموع »
قال الرجل :

« أمرك يا مولاي . . . في الحال سأطير بها إلى مولاي ... »

وجاء الرجل باثنتي عشرة شمعة أخرى أشعلها فأضيئت الغرفة . وكان جسم المركزيز الضخم قد غطى الكرسي الذي يجلس عليه ، وكان يرتدى من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ملابس رقيقة سوداء فيما عدا الزركشة البيضاء حول معصميه وعنقه . وحتى قبضة سيفه وغمده كانا أسودين . وكانت ملامح وجهه تتم عن كبرياء ساخرة . وكان سبالاه المعقوصان إلى أعلى يكادان يلامسان عينيه المازنتين وجلست السيدة جامدة لا تتحرك ، وقد لاحظ داود على ضوء الشموع أنها صبية وأنما ذات جمال محزون جذاب . وقد قطع عليه تأمله في حسنها صوت المركزيز القوي وقد صاح به :

« ما اسمك وما صناعتك ؟ »

« اسمي داود ميجنون ، وأنا شاعر »

الأخبار خارج الأبواب . فكفى طرقاً على بابي وانصرفوا »

فصاح الخادم في صوت يقرب من الصراخ :
« افتح . . . افتح للسيد المركزيز دى بويرتيز »
فصاح الرجل المثل من النافذة :
« آه . عفواً ألف مرة يا مولاي . إنى لم أستطع معرفتكم . الساعة متأخرة . سيفتح الباب في الحال وسيكون البيت رهن أمر مولاي »

وسمع من الداخل رنين سلسلة من الحديد وصوت محرك المزلاج وفتح الباب على مصراعيه ، ووقف صاحب بيت القنينة الفضية على عتبة الباب متفضلاً من البرد والخوف ، يحمل شمعة في يده وهو نصف عار .

وخرج داود من العربة وراء المركزيز الذى أتى إليه بهذا الأمر :

« ساعد السيدة في النزول »

فأطاع الشاعر الأمر وأحس بيد السيدة ترتجف وهي تهبط السلم . ثم دوى في أذنيه صوت المركزيز ملقياً إليه بهذا الأمر الجديد :
« ادخل البيت »

وكانت الغرفة التي دخلوها غرفة مائدة الفندق المستطيلة . وقد وضعت في وسطها مائدة كبيرة من خشب البلوط . جلس السيد الكبير الهامة على كرسي عند أدنى طرفها إليه ، وجلست السيدة على كرسي بجوار الجدار ، وقد بدا عليها أثر الضجر الشديد . ووقف داود يفكر في أصلح الطرق للاستئذان في الانصراف والانطلاق في طريقه

وقال صاحب الدار وقد انحنى حتى كاد جبينه يلمس الأرض :

فأزاد سبالا المركز دنوآ من عينيه وقال :
« وكيف تعيش ؟ »

فارتفع رأس داود وعلا الاحمرار وجنتيه وقال :
« وإنى أعمل راعياً أيضاً ؟ أرعى قطيع أبى »
« إذن اصنع أيها السيد الراعى الشاعر إلى
الحظ الذى عثرت به الليلة . هذه السيدة هى ابنة
أخى الأنسة لوسى دى ثارين . وهى من سلالة نبيلة
وتملك دخلا سنويا قدره عشرة آلاف فرنك لاشريك
لها فيه . أما محاسنها فيمكنك أن تقدرها بنفسك ،
فاذا وقعت نتيجة الفحص من قلب الراعى موقعا
حسنا فانها تسمى زوجك بكلمة واحدة . لا تقاطعنى ؛
لقد ذهبت بها الليلة إلى قصر الكونت دى فيلمور ،
وكان موعوداً بالزواج منها . وقد استكمل عدد
المدعويين ، وجلس القسيس ينتظر عقد زواجها على
الرجل الذى يماثلها نسباً وثروة ، ووقف العروسان
أمام المذبح ، ولكن هذه الفتاة التى تراها هنا وديعة
مطبعة ، قد التفتت إلى ، وقد انقلبت لبؤة ، فأنهمتنى
بالقسوة وارتكاب الجرائم ، وفسخت أمام الراهب
المنذهل العهد الذى قطعته عنها . عندئذ أقسمت وأنا
في موقفى بعشرة آلاف شيطان أن أزوجها من
أول رجل نصادفه في طريقنا بعد مغادرة القصر
سواء أكان هذا الرجل أميراً أم موقد حطب أم
لصاً . وانت أيها الراعى أول من صادفنا في الطريق ؛
وهذه الفتاة لا بد أن تزوج الليلة إن لم يكن منك
فرن سواك . وأنى أمهلك عشر دقائق للتفكير
والاختيار ، فلا تضايقنى بالكلمات والأسئلة . عشر
دقائق أيها الراعى ، والدقائق تمضى سريعاً »
نقر المركز بأصابعه البيضاء تقرأ قوياً على
المائدة . ثم جلس ينتظر في صمت يحيطه النموض .

وكأنما هو بيت هائل قد أغلق جميع أبوابه ونوافذه
في وجه القادمين . وكان من أمانى داود أن يتكلم
ولكن منظر الرجل الهائل قد عقد لسانه . فوقف
إلى جانب كرسى السيدة وأنحنى وقال — وقد عجب
في نفسه من انطلاق لسانه في سهولة أمام مثل ما تحلت
به الحسنة الغريبة من عظمة وجمال :

« أيها الأنسة . لقد سمعتنى أقول إننى راع .
كذلك يلقي في روعى أحياناً أننى شاعر . وإذا كان
من نزعات الشاعر أن يعبد الجمال ويحبه فان هذه
الزعة قد قويت الآن في نفسى . فهل في مقدورى
أن أقدم اليك ياسيدتى خدمة ما في أية ناحية من
النواحي ؟ »

فنظرت الفتاة إليه بعينين جافتين محزنتين .
ولكن مارأت على وجهه من أمارات الصراحة
والاشراق ، ومظهر الجدل الذى نشأ عن خطر المغامرة
التي واجهها ، وما تمثل لها من قوة جسمه واستقامته
وما لحظت في عينيه من شفقة متدققة ، ولكن ذلك
كله وقد تضاف إليه أيضاً حاجتها الملحة إلى المساعدة
والشفقة اللتين حرمتها منذ زمان طويل ، قد بعث
إلى عينها بالدموع المفاجئة ...

وقالت الفتاة في لهجة خافتة :

« سيدى ، إنه ليبدو عليك أنك صادق شقيق ؛
وهذا الرجل هو عمى شقيق أبى ، وقربنى الوحيد
في الحياة . ولقد أحب أُمى فهو يفضنى لأننى
أشابهها . ولقد أحال حياتى إلى فزع طويل . وإنى
لأخاف مجرد نظراته ، ولم أجرو قط من قبل على
مخالفة أوامره . ولكنه الليلة كان على وشك أن
يزوجنى من رجل تبلغ سنة ثلاثة أمثال سننى ؛ ولعلك
تساعحنى إذ أبعث إلى نفسك الغضب بمثل هذا
(٥)

قتسرت يدها الرقيقة الصغيرة من تحت معطفها
حتى أمسكت بيده وقالت متهددة :
« سأثقب بك وأضع حياتي بين يديك . و ...
والحب - قد لا يكون بعيداً كما تظن . فأجبه .
ومتى بعدت عن قوة عينيه فقد أنسى »

فشى داود حتى وقف في وجه المركز . فتحرك
الميكمل الضخم ، ونظرت عيناه الساخرتان الى
الساعة الكبيرة المعلقة على الجدار وقال :
« لم يبق غير دقيقتين . أحتاج الراعي لثاني
دقائق ليقرر اذا كان يقبل أو لا يقبل الزواج من
عروس ذات جمال وثروة ؟ تكلم أيها الراعي ،
أتوافق على أن تسمي زوج الأنسة ؟ »

فبدت الكبرياء على داود وقال :
« لقد شرفنتي الآنسة بأن قبلت رجائي في أن
تسمي زوجي »
فقال المركز :

« لقد أحسنت التعبير . وان في نفسك أيها
السيد الراعي لروح النديم . وكان من الجائز أن
تقع الآنسة في شر من هذه النتيجة . والآن لنته
من هذا الأمر بأسرع ما تسمح به الكنيسة
والشيطان »

وضرب المركز المائدة بقبضة سيفه ضربة
شديدة ، فأقبل رب الدار مضطرب المفاصل حاملاً
شموعاً جديدة متوقفاً سلفاً ما يأمر به المركز ،
ولكن المركز فاجأه بقوله :

« أحضر لنا قسيساً .. قسيساً أفهمت ؟ في
عشر دقائق يجب أن تحضر القسيس الى هنا وإلا ... »
فألقى الرجل بالشموع وجرى
وجاء القسيس مثقل الجفون من أثر النوم

الكلام وأحسبك سترفض ، دون ريب ، ذلك الأمر
الجنوني الذي يحاول أن يفرضه عليك قسراً . ولكن
اسمح لي أن أشكر لك على الأقل ، ما وجهت إلى من
كلمات كريمة ، فاني لم أسمع منذ زمان طويل أحداً
يخاطبني بمثل هذه الكلمات »

وهنا نظقت عين الشاعر بشيء أكثر من
الكرم . وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقد
نسى إيفون ، وقد تملكته هذه الحسناء الجديدة
بما وهبها الله من عظمة ونضارة ، وقد أثار الشذا
الجميل المنبعث منها عواطف غربية في نفسه . فنظر
إليها نظرة رقيقة أغضت لها متعطشة لما فيها من حنان
وقال داود :

« لقد منحت عشر دقائق للبت فيما كنت
أجعل للبت فيه عدة من السنين . ولا أقول إنني
أشفق عليك أيها الآنسة ، لأنني لو قلت ذلك لما
كنت صادقاً - فاني أحبك . وما أستطيع بعد أن
أطلب منك مقابلة الحب بالحب ، ولكن اسمحي لي
بأن أنفذك من هذا الرجل القاسي ، وسيجيء الحب
مع الزمن ؛ وإني لأظن أن لي مستقبلاً ، فلن أكون
راعياً طوال عمري . وسأحيطك في الوقت الحاضر
بكل ما في قلبي من القوى لأخفف من أحزانك
الموجعة ، فهل تودعين حظك آمنة بين يدي
ياسيدي ؟ »

« آه ! ستضحى بنفسك شفقة على ! »
« لا ، ولكني أتقدم إليك باسم الحب ، والزمن
كفيل في الغالب بكل شيء يا آنسة »
« إنك ستندم على ذلك وستحتقرني وتردربي »
« سأقف حياتي على إسماعلك وعلى رفع نفسي
إلى المستوى اللائق بك »

« لقد شرفتنى فى هذه اللحظة بأن دعوتنى
« السيد » هل آمل إذن أن يكون زواجى من
الآنسة قد رفعنى إلى مكانة تدنو قليلا من مكانتك ؟
ولتكن مكانة الظل من الأصل - فيسمح لى ذلك
بأن أقف موقف الند من السيد المركيز فى شأن
صغير معين أحمله فى رأسى ؟ »

فقال المركيز ساخراً :

« قد تأمل فى ذلك أيها الراعى »

فألقى الفتى بكأسه بين عيني المركيز الساخرتين
اللتين تهزآن به وقال :

« اذن ، قد تتنازل فتبارزنى »

فتجلت ثورة السيد العظيم فى ائمة مفاجئة
انفجرت من بين شفثيه كنفخة البوق الكبير .
وجرد الرجل سيفه من غمده وصاح برب البيت
المضطرب :

« جىء هذا الجلف بسيف ! »

ثم التفت إلى السيدة ضاحكا ضحكة أرجفت
قلبها وقال :

« انك تحملىننى كثيراً من المتاعب أيتها
السيدة ؛ ويلوح لى أنه لابد من أن أزوجك وأرملك
فى ليلة واحدة »

فقال داود وقد احمر وجهه لاضطراره الى هذا
الاعتراف أمام زوجه :

« أنا لا أعرف استعمال السيف »

فقال المركيز فى لهجة الساخر :

« أنا لا أعرف استعمال السيف ! أتبارز اذن
كالفلاحين بهراوات البلوط ؟ مرحى ! أحضر
يافرانسوا غدارتى ! »

فأسرع أحد الخدم وأحضر من العربية غدارتين

مترنحاً ، فأجرى الطقوس التى أمسى بها داود
ميجنوت ولومى دى فارين زوجين ؛ ثم دس فى
جيبه قطعة من النقود الذهبية ألقى بها المركيز اليه ،
وغادر البيت من حيث جاء دالفاً فى الظلام
فبسط المركيز أصابعه الكبيرة فى وجه رب الدار
وصاح به :

« هات خمراً »

فلما جاءه بالخمر قال :

« املا الكؤوس »

ووقف على رأس المائدة فى ضوء الشموع ،
فكان أشبه بجبل أسود من الضفينة والغرور .
وعند ما وقع نظره على ابنة أخيه بدا فى عينيه شئ
كذكرى الحب القديم وقد انقلب سما قاتلاً . .
ورفع كأسه فى يده وقال :

« مسيو ميجنوت ! اشرب بعد أن أقول لك

هذه الكلمات : لقد تزوجت من فتاة ستملاً حياتك
غشاً وتعاسة ، فالدم الذى يجرى فى عروقها هو
سيل موروث من الأكاذيب السود والدمار
الأحمر . فستجلب لك العار والهواجس . فالشيطان
الذى انحدر إليها بالوراثة كامن هناك فى عينيها
وجلدتها وفها الذى ينزل حتى لخداع رجل فلاح .
هذا هو ما وعدت به أيها السيد الشاعر من الحياة
السعيدة . اشرب خمر . وأنت أيتها الفتاة لقد
تخلصت منك آخر الأمر »

وشرب المركيز كأسه ؛ وخرجت من بين شفثى
الفتاة صرخة محزونة كأنها منبعثة من جرح مفاجئ ،
فتقدم داود وكأسه فى يده ثلاث خطوات ثم
وقف من المركيز وجهاً لوجه . فلم يكن فى منظره
ما يشبه منظر الرعاة ، وقال فى هدوء :

المركز بآسماً وقد استندت أصابع يده اليسرى إلى المائدة . وبقي داود منتصباً في مكانه ؛ ثم أدار رأسه في بطاء شديد باحثاً بعينه عن زوجه ، ثم إذا هو يسقط فجأة كتلة جامدة كما يسقط المعطف عن الشجب .

فجرت العروس الأرملة ، وقد صرخت صرخة الجزع واليأس ، فأنحنت على جثة زوجها القليل ، وعثرت على جرحه ، ثم نظرت نظرتها القديمة الجامدة من الحزن الموجع وقالت هامسة :

« في صميم قلبه ، أواه ! في قلبه ؟ »

فدوى صوت المركز المرعب في أرجاء الغرفة :

« تعالى لنذهب إلى العربية ! ولن يراك الفجر بين يدي ، فستزوجين مرة أخرى ، في هذه الليلة ومن زوج حي . وسيكون هذا الزوج أول رجل نصادفه في الطريق ، عظيماً كان ذلك الرجل أم فلاحاً حقيراً . فإذا لم نصادف في الطريق أحداً فستزوجين من البواب الذي يفتح أبواب قصرى . هلمي إلى العربية ! »

خرج المركز الضخم الجثة المتحجر الضمير ، تتبعه السيدة ملتفة في معطفها الذي يحيطها بالأسرار ، وحوّلها الخدم يحملون السلاح - خرجوا جميعاً إلى العربية الواقعة في الانتظار ، فلم يلبث دوي عجلاتها الكبيرة أن تردد صدها في أرجاء القرية الناعمة ؛ بينما صاحب بيت « الفنية الفضية » منحن فوق جثة الشاعر القليل شارد الفكر يدق يدأ بيد ، ولهب الأربع والعشرين شمعة المضاء فوق المائدة يرقص متأججاً في الهواء

كبيرتين لامعتين قد زينت أيديهما بالفضة النقوشة . فألقى المركز إحداها فوق المائدة على مقربة من يد داود وصاح به :

« الى الطرف الآخر من المائدة . وحتى الراعى قد يستطيع أن يطلق الفدارة . وقليل منهم هم الذين ينعمون بشرف الموت بسلاح دي بوبرتيز »

وتواجه المركز وداود من طرفي المائدة . وأصاب الجزع رب الدار فأخذ يحبط الهواء بيديه ويقول مترنحاً :

« سيدى . . . سيدى ، بحق المسيح لا تفعل ذلك في بيتي ! لا ترق الدماء هنا - فيدمر ذلك سمعتي ويقضي على مستقبلى . . »

ولكن نظرة المركز التهديدية اليه عقلت لسانه ، وقد صاح به الرجل :

« كفى ثرثرة أيها الجبان ، وهيء لسانك الطويل ليعلم كلمة القتال »

ولكن ركبتى رب الدار كانتا قد لامستا الأرض ، وقد ذهبل عن كل شيء فهو لا يكاد يسمع أو يبى ولكنه كان مع ذلك لا يزال يستجدى السلام باسم سمعة بيته والحرص على عمله .

وقالت السيدة في صوت جلى :

« سأعطى أنا الكلمة »

ثم تقدمت إلى داود فقبلته قبله رقيقة . وكانت عيناها تبرقان وقد علا الاحمرار وجنتيها . ووقفت بجوار الجدار وصوب الرجلان غدارتيهما أحدهما إلى الآخر منتظرين أمرها باطلاق النار :

« واحد . اثنان . ثلاثة ! »

وخرج الطلقان في وقت واحد على التقريب فلم يضطرب لهب الشموع غير مرة واحدة ووقف

طريق المين

قطع الفتى ثلاثة فراسخ في خط مستقيم ، ثم وقف متحيراً ، فقد التقت الطريق بطريق أخرى أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة ، فبقي لحظة لا يستقر على رأى ، ثم سلك طريق المين

لم يكن داود يدرى إلى أين تقوده هذه الطريق ولكنه كان قد اعتزم أن يعتمد الليلة عن فرنوى ما استطاع . وبعد أن قطع فرسخاً في الطريق الجديدة مر بقصر يدل الطواهر على أنه عمر باحتفال حديث ، فقد كانت الأنوار بادية من جميع نوافذه ، وكانت آثار عجلات العربات التي حملت الضيوف واضحة ممتدة من داخل الباب الكبير إلى طول الطريق

وبعد ثلاثة فراسخ أخرى أحس داود بالتعب ، فجلس يستريح ثم رقد على كومة من الأعشاب إلى جانب الطريق . واستيقظ بعد فترة فواصل السير إلى حيث لا يدرى .

وعلى هذه الصورة قضى الفتى خمسة أيام ماشياً في هذه الطريق الواسعة الطويلة ، ينام على فراش الطبيعة فوق ركام الفلاحين ، آكلاً من خبزهم الأسود السخى ، شارباً من الجرادل أو أكواب الرعاة الكرماء .

وأخيراً عبر جسراً كبيراً فوضع قدمه على أرض المدينة الباسمة التي حطمت أو توجت من الشعراء عدداً يزيد على مجموعة الشعراء في أى مكان آخر . وجري تنفسه سريعاً عندما ما غنت له باريس في صوت خافت أغنية الترحيب — وهي أغنية عناصرها مهمة الأصوات ووقع الأقدام ودوي العجلات .

واستقر الفتى في غرفة صغيرة فوق سطح منزل قديم بإشباع كونتى ، فدفع أجر الإقامة ، وجلس

على كرسى من الخشب منكبا على أشعاره ، وكان الشارع الذى يقيم فيه من الشوارع التى هجرها أهل الجد والعمل ، فأصبحت مسرحاً للذين يسرحون في فترة الانحدار .

وكانت البيوت عالية ، يبدو عليها أثر العظمة الزائلة ، وكان أغلبها خالياً إلا من الأتربة والعنكبوت ، ولم يكن يسمع في الليل غير جلجلة الحديد وصراخ المشاغبيين المتنقلين من حانة إلى حانة ؛ وفي الجملة أصبح ذلك الحى الذى كان مسرح السادة الأشراف مأوى للرعاع المجرمين ، ولكن داود وجد في هذا الحى السكن المناسب لله القليل ، ولم يره نور النهار ولا ضوء الشموع إلا منكباً على الأقلام والورق .

وفي ذات مساء كان داود عائداً من جولة في الأحياء الفقيرة حاملاً شيئاً من الخبز والأدام وزجاجة من النبيذ الخفيف ، وفي منتصف درجات السلم التقى — أو بمباراة أخرى وقع على — سيدة فتية ذات جمال يعطل حتى خيال الشعراء . ترتدى معطفاً أسود خفيفاً ينفرج عن ملابس غالية ثم عن الثراء ، وكانت عيناها تتغيران في سرعة مذهشة وفاق ما يدور في رأسها من آراء . ففي لحظة تراهما مستديرتين لا أثر للصناعة فيها كأنما هما عينا طفل برى ، وفي لحظة أخرى تراهما مستطيلتين خداعتين كعيون نساء العنجر ، وقد رفعت إحدى يديها طرف ثوبها كاشفة عن خذاء على الكعب محلول الرباط ، وهي في وقفها مخلوقة سماوية غير خليقة بالأنحاء ، فهي إنما خلقت لتسحر الناس ولتأمر فتطاع ! ولعلها قد رأت داود يصعد الدرجات فانتظرت ليقدم إليها ما تود من مساعدة .

آه ، أنفجر لها السيد وقوفها في الطريق ، ولكن

في الغرفة الصغيرة التي يميل السلم أمامها . «
فادارت السيدة رأسها ناحية وقالت :
« في الغرفة الأمامية ؟ »

« في الخلفية يا سيدتي »

فتنهت السيدة كأنما قد شعرت بشيء من
الارتياح . وقالت وقد استدارت عيناها وضاع منهما
كل أثر للصناعة :

« لن أؤخرك أكثر من ذلك يا سيدى . وعليك
أن تحافظ علي منزلى . أسفا ! إن ذكرياته هي كل
ما أملك منه الآن . وداعا وتقبل شكري لما قدمت
لي من مساعدة »

واختفت السيدة عن نظر الفتى غير تاركة وراءها
إلا ابتسامة والاشدا حلوا منعشا . وتسلى داود
السلم تسلى النائم يسير في المنام ، ولكنه لم يلبث
أن استيقظ ، ولازمته الابتسامة والشذا ولم يبد أن
أحدهما قد فارقه بعد ذلك أبداً ، فقد أحاطته هذه
السيدة بكل ما يحيط به الملاك الساحر الشاعر الرقيق
الحسن من مغريات .

وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقد نسي
إيفون ، وقد تملكته هذه الحسناء الجديدة بما
وهبتها الطبيعة من عظمة ونضارة . وذلك الشذا
الجميل الذي انبعث منها بعث عواطف غريبة في نفسه

وفي ليلة ما اجتمع ثلاثة أشخاص حول مائدة
في غرفة بالطابق الثالث من هذا البيت نفسه . ولم
يكن في الغرفة من أثاث غير الثلاثة الكراسي
والمائدة والشمعة المضيئة فوقها . وكان أحد
الأشخاص رجلاً ضخماً الهامة يرتدى السواد ، تدل
تقاسيم وجهه على ما في نفسه من كبرياء ساخرة ،

الحذاء ! — ذلك الحذاء الشقي الماكر ! أسفا ! إنه
لا يبقى على ربطته . آه ! لو أن السيد تفضل بتقديم
مساعدته الكريمة !

وارتجفت أصابع الشاعر وهو يمسك الرباط . ثم
لكأته حاول الهرب الذي يواجهه في حضرتها ،
ولكن عينيها قد استطالتا خدعتين كميون الفجر
فشلتا حركته . فمال على حاجز السلم ممسكاً بزجاجة
الخمر الردى .

وقالت السيدة مبتسمة :

« لقد كنت كريماً يا سيدى ، فلملك من سكان
هذا البيت . »

« نعم يا سيدتى . . أنا — أنا اضنني كذلك . »

« لملك إذن تسكن الطابق الثالث ؟ »

« لا ، يا سيدتى ، بل أعلى من ذلك . »

فخركت السيدة أصابعها حركة تدل على شيء من
الضجر وقالت :

« عفواً فما أنا طفيلية في سؤالى ، وإنى لأرجو
السيد أن يسامحني ، فما أقصد حقاً أن أعرف أين
يسكن . »

« لا تقولى ذلك يا سيدتى ، فإننى أسكن في .. »

« لا ، لا ، لا ، لا تقل لى ، فاني مدركة الآن

أننى قد أخطأت ، ولكننى لا أستطيع أن اتغلب
على اهتمامى بأمر هذا المنزل وكل ما يتصل به ، فلقد
كان بيتى يوماً ما . وإنى لأحضر إلى هنا في أغلب
الأوقات ، ولكن لجرد التمتع باستعادة ذكريات
تلك الأيام السعيدة . فهل تقبل منى هذا العذر ؟ »
فقال الفتى مترنحاً :

« لتصنى إلى إذن ، فما بك من حاجة للاعتذار ،

انى لأسكن في الطابق الأخير فوق سطح الدار —

فصرب الكابتن دزروول على المائدة مرة أخرى
وقال مكرراً كلماته الأولى :

« الليلة . . لقد سمعتنى ، ياسيدى الركيز ، أقول
إن يدى ستضرب الليلة الضربة الواجبة »

فقال الرجل الضخم الجثة في شيء من الرقة :
« ولكن الآن يعرض لنا هذه المسألة : يجب
أن نرسل كلمة لأصدقائنا فى القصر الملكى ، وهناك
إشارة متفق عليها . ويجب أن يصحب رجالنا المحلصون
عربة الملك . فمن هو الرسول الذى يستطيع فى هذه
الساعة أن يتوغل حتى الباب القبلى ؟ فركز
ريوت عند ذلك الباب ، فتمتى وصلت الرسالة الى يده
فسيتم كل شيء على ما نحب »

فعالت السيدة :

« سأبولى أنا إبلاغ الرسالة »

فرفع الركيز حاجبيه وقال :

« أنت يا كوتنس ؟ إتنا نعرف أن اخلاصك
عظيم ولكن . . . »

فوقفت السيدة واتكأت بيدها على المائدة وقالت :
« أصغ الى ، فى غرفة بأعلى هذا المنزل مسكن
شاب من الريف مخلص وديع كالخراف التى يرعاها
هناك ، ولقد قابلته على السلم مرتين أو ثلاثا .
وسألته عن مسكنه خيفة أن يكون قريباً من الغرفة
التي تجتمع فيها ، وإنه لطوع يدي إن أردت ، فهو
يكتب الشعر فى غرفته وأظن أنه يحلم بى . وسيفعل
ما أطلب منه فعله ، وسيحمل الرسالة إلى القصر »
فوقف الركيز وانحنى ثم قال :

« إنك لم تسمحنى لى يا كوتنس بأن أتمم جلتي
فلقد كنت أريد أن أقول ان اخلاصك عظيم
ولكن ذكائك وحسنك لاحد لعظمتها »

وكان سبالاه المقتولان الى أعلى يكادان يلامسان
عينيه الهازئتين . وكان الشخص الثانى سيدة صبية
جميلة ، ذات عينين تراهما حيناً مستديرتين لا أثر
للتصنع فيهما كأنهما عيننا طفل برى ، و تراهما مرة
مستطيلتين خداعتين كميون الفجر ولكنهما كانا
ساعة هذا الاجتماع حادثين تنطقان بما فى نفسها من
مطامع كميون غيرها من التآمرين ؛ أما الشخص
الثالث فكان رجل عمل ، وكان محارباً شجاعاً صبوراً
فملاً يستنشق أنفاسه خلال النار والحديد ، وكان
صاحبه يدعو انه الكابتن دزروول .

ضرب هذا الرجل المائدة بيده وقال فى صوت
ثابت قوى :

« الليلة . . الليلة حين يذهب لصلاة نصف الليل .
لقد تعبت من التآمر الذى لا يؤدى إلى نتيجة . وانى
لأختنق من الاشارات والرموز والاجتماعات السرية
ومثل هذه المهمة التى نتحدث بها . فلنكن خونة
أشرافاً ، فإذا كان لابد لفرنسا أن تتخلص منه
فلنضرب ضربتنا علناً ، غير مخادعين ولا ملتجئين
للجبال والاشراك . فالليلة كما قلت . وكما اكرر القول ،
الليلة ستضرب يدي هذه الضربة الواجبة ، الليلة
عند ما يذهب لصلاة نصف الليل »

فنظرت اليه السيدة نظرة تقدير و إعجاب . والمرأة
وان انغمرت فى المؤامرات لا تزال أبدا تنحنى أمام
مثل هذه الشجاعة المندفعة . وبرم الرجل الضخم
شاربيه وقال فى صوت غليظ يلطفه بحكم العادة :

« إنى متفق معك فى هذه المرة ، أيها الكابتن
العزير ، فليس هناك ما نجنيه من وراء الانتظار ،
فبين حرس القصر من أصدقائنا العدد الكافى لضمان
نجاح مشروعنا »

فستمكن والدتي من رؤيته قبل أن تغمض عينها
إلى الأبد »

فقال داود متحمساً :

« هات الكتاب ياسيدي ، ولكن هل أتركك
تعودين وحدك في الشوارع في هذه الساعة
التأخرة ؟ أنا ... »

فقالت السيدة وقد استطلعت عينها وبدأت
خدعتين كميون النجر :

« لا . لا - أسرع أنت ، فكل لحظة تمر
كأنها جوهرة نفيسة ؛ وسيأتي الوقت الذي أحاول
فيه أن أشكر لك طيبتك »

فدس الشاعر الخطاب في صدره وأجه إلى السلم
فهبطه مسرعاً . فلما انصرف عادت السيدة إلى غرفة
النائم .

فكانت حركة حاجبي الركيز ثم عن سؤالها
عما حدث فأجابت :

« لقد ذهب بالكتاب أبه غيباً كما حدى الغم
التي يراها »

فاهتزت المائدة مرة أخرى باحدى ضربات
الكابتن دزول وصاح :

« يا لله ! لقد نسيت غدارتي ، ولا أستطيع أن
أثق بغيرها »

فسحب الركيز من تحت معطفه غدارة كبيرة
لامعة مزينة قبضتها بالفضة المنقوشة وقال :

« خذ هذه فها هناك من غدارة آمن منها ،
ولكن حافظ عليها جيداً فإنها تحمل اسمي وشعاري ،
وأنا بالفعل مشتبه في أمري . وفيما يختص بي سأبتمد
الليلة عدة فراسخ عن باريس . وسيشرق على صباح
الغد في قصرى ، تفضلي ياسيدي الكونتس »

وبينما كان التآمرون مشغولين بهذا الحديث
في غرفتهم كان داود يهذب بعض أبيات من الشعر
وجهها إلى « حسناء السلم » ولم يلبث أن سمع
طرقاً خفيفاً على باب غرفته ، وما كاد يفتحه حتى
اضطرب قلبه إذ رأى الحسناء الذى يتغنى بها واقفة
على عتبة تلهث مفتوحة المينين بريئة النظرات
كالطفل ، وكأنها هي في ضيق شديد وما رآته حتى
قالت في صوت متقطع :

« سيدى ، إني أجيئك الآن جازعة ، وإني
لأعتقد أنك طيب صادق ولا أعرف سواك من
ألجأ إليه للمساعدة . ولو رأيتنى وأنا أجري في
الشوارع وسط الرجال المختالين بأنفسهم ! ولكن
دفعنى إلى ذلك ياسيدي أن أمى في حالة النزاع ؛
وخالى ضابط فى حرس الملك ؛ ولا بد من أن
يسرع إليه أحد فيأتى لى به . وإني لأرجو »

وهنا وضعت السيدة فى يد الفتى رسالة مختومة
ومضت تقول :

« اذهب إلى الباب القبلى - الباب القبلى
لأننى ذلك - وقل للحرس الذين تجدهم هناك :
« لقد غادر البازى وكره » وعندئذ يسمحون لك
بالمرور ، فاقصد إلى مدخل القصر القبلى وكرر
الجملة نفسها ، وسلم هذا الخطاب للرجل الذى يجيئك
بقوله : « دعه يضرب متى أراد » فهذه كلمة المرور
التي أطلعني عليها عمى ياسيدي ، لأنه فى وسط
الاضطراب الحاضر فى البلاد ، وبينما يوجد قوم
يتآمرون على حياة الملك لا يستطيع أحد بدون
هذه الكلمة أن يدخل إلى القصر بعد هبوط
الظلام ؛ فإذا أنت حملت إليه هذا الخطاب ياسيدي

مائلة للسواد وقد انحنى إلى الأمام . وقال يخاطب ذلك الرجل :

« لقد رفعت إلى مسامعك يا مولاي أن القصر يهوج بالخونة والمتآمرين كما تهوج السرايب بالفيران . ولقد كنت تظن يا مولاي أن ما أقول ليس إلا من نسيج خيالي . وهذا الرجل استطاع الوصول إلى أبواب حجراتك بإغضاء الحراس ، وكان يحمل خطاباً أخذته منه . وهأنذا قد جئت به إلى حضرة جلالتك حتى لا تظن غيري مبالغاً فيها فأجفل الملك في كرسيه ونظر إلى داود بعينين أثقلتهما غشاوة معتمة وقال :

« سأسأله بنفسى »

فتنى الشاعر ركبته . وسأله الملك :

« من أين جئت ؟ »

« من قرية فيرنوى فى مقاطعة إرياه لوار يا مولاي »

« وماذا تعمل فى باريس ؟ »

« أو .. أود أن أكون شاعراً »

« وماذا كنت تعمل فى فيرنوى ؟ »

« كنت أرى أغنام أبى »

فأجفل مرة أخرى وانزاحت الغشاوة عن عينيه وقال :

« آه - فى الحقول ! »

« نعم ، يا مولاي »

« كنت تعيش فى الحقول وتخرج فى نسيم الصباح الطرى فترقد على الحشائش داخل السياج . وهناك ينتشر القطيع على جانب التل . وتشرب أنت من ماء النهر المنعش ، وتأكل خبزك الأسود اللذيذ فى الظل ، وتصنى دون شك للطيور السوداء وهى

ونفخ المركيز الشمعة فأطفأها ، ولفت السيدة نفسها جيداً بمعطفها وهبط الثلاثة السلم فى هدوء ، ولم يلبثوا أن اندسوا بين المارة على إفريز شارع كونتى وأسرع داود حتى وصل إلى الباب القبلى لقصر الملك . وهناك صوب أحد الحرس حربته إلى صدره ، ولكنه لم يلبث أن حولها عنه بهذه الكلمات :

« لقد غادر البارزى وكره »

فقال الحارس :

« مر يا أخى ، وأسرع »

وعند الدرج الجنوبى للقصر تحرك الحرس للقبض عليه ، ولكن كلمة المرور لم تلبث أن فتحت له الطريق . وتقدم أحد الحرس منه وقال : « دعه يضرب . . . » ولكن حركة عنيفة وسط الحرس أنهأت عن أمر مفاجئ ، فقد شق الطريق فجأة وسط الحراس رجل حاد النظر عليه سياء الجندي وأمسك بالخطاب الذى كان داود يحمله فى يده ، وقال له :

« تعال معى »

ودخل به إلى الردهة الكبرى ، وهناك فض غلاف الخطاب وقرأه . ثم أشار إلى رجل فى ملابس الفرسان اتفق مرورهم فى هذه اللحظة ، وقال :

« كابتن تيترو . . . أسرع بالقبض على حرس

المدخل الجنوبى وأودعهم السجن ، وضع مكانهم رجلاً ممن لا شك فى ولائهم »

ثم وجه الحديث إلى داود فقال :

« وأنت تعال معى »

ثم قاده فى ممر وصل منه إلى غرفة صغيرة تؤدى إلى حجرة فسيحة حيث جلس فى كرسي كبير من الجلد رجل تبدو عليه أمارات الحزن يرتدى ملابس

تغنى بين الأحرار . أليس ذلك هو شأن الراعى ؟
فأجاب داود متنهداً :

« هو ذاك يا مولاي ، وكذلك يصنى إلى النحل
فوق الأزهار ، وقد يصنى كذلك إلى جناة الغنب
وهم يغنون »

« نعم ، نعم ، قد يصنى إلى جناة الغنب ولكن
الذى لا شك فيه أنه يصنى للطيور السوداء ، فهي
غالباً ما تغنى فى الأحرار ، أليس أمرها كذلك ؟ »
« إنها لا تغنى فى مكان آخر بأحلى مما تغنى فى
إيرابه لوار . ولقد حاولت أن أصف غناءها فى بعض
الأشعار التى أنشأتها »

فسأله الملك فى لهفة شديدة :

« أستطيع أن تكرر على سمى هذه الأبيات ؟
فبذل زمان بعيد أصغيت للطيور السوداء . وإنه لأكبر
من انك أن يستطيع إنسان تصوير غنائها تصويراً
صادقاً ... وكنت فى المساء تدفع الأغنام إلى حظيرتها
ثم تجلس فى هدوء واطمئنان ، فتأكل خبزك الهنى !
هل تستطيع أن تكرر هذه الأبيات أيها الراعى ؟ »
فقال داود فى حماسة ملؤها الاحترام :

هذه هي يا مولاي :

« أيها الراعى الكسول ! انظر خرافك الصغيرة

« وهي تثب مرحة فوق الأعشاب

« وانظر إلى فرائها تهتر فى النسيم

« واصغ إلى إله الرعاة ينفخ فى أرغوله

« فيترجم أقوال الطيور وهي تقول :

« اصغ إلينا ونحن نصيح فوق الغصون ،

« وانظر إلينا ونحن ننقض على أغنامك

« لنلقط منها الأصواف التى تدق أوكارنا

« على فروع ال . . . »

هنا قطع هذا الحديث صوت أجش يقول :

« أبأذن لى مولاي أن أسأل هذا الوزان سؤالاً
أو سؤالين . فليس لدينا من وقت نضيمه قبل أن
نعمل . وإني لأسأل مولاي العفو إذا كان اهتمامي
بسلامة جلالتك قد أدى إلى هذه المقاطعة التى قد
تسوءكم »

فقال الملك :

« إن اخلاص الدوق دومول أكبر من أن
يسبب لى أى امتعاض أو غضب »
ثم غاص الملك فى كرسیه وعادت العشاة
فاستولت على عينيه . فقال الدوق :

« وسأبدأ بأن أقرأ لجلالتكم الخطاب الذى حمه
هذا الفتى وهذا هو :

« الليلة هي ليلة ذكرى وفاة ولى العهد . فإذا
خرج كمادته لحضور صلاة نصف الليل على روح
ابنه ، فإن البازي سيضرب ضربته عند زاوية شارع
اسبلاناد ، فإذا كانت هذه هي نيته فضع نوراً أحمر
فى الغرفة العليا فى الركن الجنوبى الغربى من القصر
حتى يأخذ البازي أهبته »

ثم قال الدوق فى شدة :

« أيها الفلاح ، لقد سمعت هذه الكلمات ، فمن
الذى أعطاك هذه الرسالة لا يصلها إلى القصر ؟ »
فقال داود فى لهجة الجد :

« سأخبرك يا مولاي الدوق ، لقد أعطتني
هذه الرسالة سيدة قالت إن أمها مريضة وإن هذه
الرسالة تستدعى خالها ليقف إلى جانب فراش أخته
وهي تموت . ولم أكن أعرف ما يحتوى عليه

خطابها ، ولكنني أستطيع أن أقسم أنها جميلة
وطيبة »

فقال الدوق آمراً :

« صف لنا المرأة وقل كيف أصبحت رسولها
الأبله »

فقال داود مبتسماً ابتسامة رقيقة :

« أصفها ؟ انك بذلك تأمر الكلمات أن تأتي
بالمعجزات : أنها يامولاي مخلوقة من شعاع
الشمس تحيطها هالة رائعة ، هيفاء كشجرة الحور ،
إذا خطرت اكتنفها العظمة من كل ناحية ،
وعيناها تتغيران وهي تحدثك ، فهما في لحظة
مستدیرتان ، وفي لحظة أخرى نصف غامضتين كما
تطل عين الشمس من بين سحابتين . إذا جاءت
فالسما حولها ، وإذا ذهبت تركت وراءها شذاً
يسحر النفوس ، لقد جاءني في شارع كونتي رقم
٢٩ »

فالتفت الدوق إلى الملك وقال :

« إنه البيت الذي كنا نراقبه ، فشكراً للسان
الشاعر ، فقد رسم لنا صورة من الكونتس ليبدو
مفضوحة السمعة »

فقال داود في لهجة الجد :

« صاحب الجلالة ، ومولاي الدوق ، أرجو ألا
تكون كلمتي التعيسة قد ظلمت أحداً . لقد نظرت
إلى عيني هذه السيدة ، وإني لأراهن بحياتي على أنها
ملاك دون نظر إلى أمر هذا الخطاب »

فأحرق الدوق فيه النظر وقال في هدوء :

« إنني سأختبرك ، فستلبس ملابس الملك ،
وتذهب بنفسك في عربته لحضور صلاة نصف

الليل ، فهل تقبل هذه التجربة ؟ »
فابتسم داود وقال :

« لقد نظرت إلى عينيها ، فبرهاني في يدي ،
ولك أن تجري تجربتك على ماتريد »

وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين
مساء وضع الدوق دومول بيده مصباحاً أحمر في نافذة
بالركن الجنوبي الغربي من القصر ، وفي الساعة
الحادية عشرة والدقيقة الأربعين خرج داود من
الحجرات الملكية مرتدياً ملابس الملك من قبة
رأسه لأخص قدمه متكئاً على ساعد الدوق حانياً
رأسه إلى الأمام حتى وصل إلى العربة المنتظرة أمام
السلم الخارجي ، فساعدته الدوق في دخولها وأقفل
الباب . فسارت العربة في طريقها إلى الكاتدرائية .
وفي نقطة (كي فيف) أمام بيت في زاوية شارع
اسبلاناد اختبأ كابتن تيترو مع عشرين من رجاله
مستعدين للانقضاض على المتأمرين عندما يظهرون

ولكن يظهر أنه لأمر ما عدل المتأمرين في
خطتهم تعديلاً طفيفاً . فها وصلت العربة الملكية
شارع كريستوفر ، وهو أقرب في الطريق من شارع
اسبلاناد ، حتى اندفع منه كابتن دزروول وعصابته
التي عقدت النية على قتل الملك ، فهاجوا العربة .
وعلى الرغم من أن الحراس المحيطين بالركب قد بوغتوا
بهذا الهجوم المفاجئ ، فأنهم ترجلوا وقتلوا المهاجمين
مستبسلين . واسترعى تقارع الأسلحة وضجيج القتال
أنظار كابتن تيترو ورجاله فاسرعوا لنجدة اخوانهم ،
ولكن حدث في الوقت نفسه أن ثارت نفس كابتن
دزروول ، بعد أن استولى عليه اليأس ، فانقض على
باب العربة وفتحه بمنف وصوب غدارته إلى صدر

وهب داود واقفا فنفض عوامل القلق والفكرة الحوشية التي استولت عليه ، وأدار وجهه إلى طريق القرية وعاد من حيث أتى . وما كاد يقطع الطريق حتى كان قد زال من نفسه كل أثر لفكرة الهجرة والبعد عن وطنه ، وصر بمخظيرة النعم التي ربت من وقع أقدامه في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، فأحس من حركاتها بحرارة الحنين إلى الوطن فتسلل في هدوء إلى غرفته الصغيرة حيث رقد على فراشه شاكرًا لله أن نجت قدمه هذه الليلة من الانزلاق في طرق المخاطر .

وما كان أعرف الفتى بقلب المرأة ! ففي المساء التالي كانت إيفون واقفة مع الفتيان والفتيات التجمعين حول البئر للاشتراك مع القسيس في الصلاة ، وكانت الفتاة تنظر من طرف عينها باحثة عن ... ولو أنه يخيل إلى من يرى فيها الجامد أنها قاسية لم ترحم ، ورأى داود نظرتها ورأى على فيها ما يناقض النظرة فادرك أنها تحاول أن تخفي بحركة فيها حقيقة شعورها فلاطفها ، وبعد فترة حظى - وهما عائدان في الطريق - بقبلة من ذلك الفم الذي اصطنع الجفاء

وبعد ثلاثة أشهر من تاريخ ذلك اليوم تزوج الحبيبان ، وكان أبو داود ميسر الحال كريمًا ، فأقام لزواجهما عرسًا سمع بمظلمته الناس إلى مسافة ثلاثة فراسخ . وكان العروسان محبوبين من أهل القرية جميعًا ، فمر الموكب في الطرق وأقيم المرقص فوق الأرض الخضراء ، وأحضر من بلدة درو بعض اللاعبين لتسلية الضيوف .

ومضى عام ومات والد داود ، وورث الفتى عنه البيت والقطيع . وكانت زوجته دون شك ألطف

المهيكل الأسود القابع في داخلها وأطلق النار .
والآن ، وقد أقبلت النجدة من الجنود المخلصين فقد علا الضجيج والصياح مصحوبًا بقعقة السلاح . على أن الخيل الجافلة قد اندفعت بالعربة على غير هدى وعلى فراش العربة رقدت جثة الملك الكاذب المسكين والشاعر الراعى ، وقد قتل برصاصة من غدارة السيد المركيز دى بويتريز .

الطريق الاصلبة

قطع الفتى ثلاثة فراسخ في خط مستقيم ، ثم وقف متحيرًا ، فقد التقت الطريق بطريق أخرى أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة . فبقى لحظة لا يستقر على رأى ، ثم جلس ليستريح على جانب الطريق . لم يكن الفتى يعرف إلى أين تؤدى هذه الطرق ، وخيل إليه أن وراء كل منها دنيا واسعة مليئة بالفرص الحسنة وبالأخطار أيضًا . وبعد أن جلس فترة يفكر وقمت عينه على نجم متأللء في السماء ، وهو نجم اتفق هو وإيفون على أن يسمياه نجمهما . فحوت رؤيته أفكاره إلى إيفون ، فسأل نفسه ألم يتسرع في مغادرة القرية على هذه الصورة ؟ وهل يصح أن يترك حبيبته وبيته لغير سبب إلا أنه تبادل وهذه الحبيبة بضع كلمات حارة ؟ وهل كان الحب شيئًا هشا تقصفه الغيرة - وهي دليل صدقه - بمثل هذه السهولة ؟ وذكر أن الصباح يحمل دائمًا الشفاء للرؤوس التي يصدعها المساء . ورأى أن الوقت لا يزال متسعًا أمامه للعودة دون أن يشعر أحد من أهل القرية النيام بخروجه منها . لقد كان قلبه ملكًا لإيفون فهناك في القرية حيث عاش طوال عمره يستطيع إلى جانب حبيبته أن يقول الشعر وينعم بالسعادة .

يقضى وقته ناعساً . وأدركت الذئب أن صياغة الشعر والنعاس صنوان من الوجهة العملية ، فواصلت حملتها على القطيع ، واستمر عدد الخراف في النقصان وازداد خلق إيفون سوءاً تمشياً مع ازدياد ما يهدد حياتها البيتية من شقاء ، فكانت أحياناً تقف في الفناء وترفع صوتها لتسمع زوجها القابع في غرفته مانهال عليه من ألفاظ قاسيات .

وكان مسيو باينو المسجل المعجوز رجلاً شقيقاً يتدخل في شئون أهل قريته ينصح لهم بما يفيدهم ؛ وقد رأى ما صارت إليه حال داود فقصد إليه يوماً وقال : —

« يا صاحبي ميجنوت إني أنا الذي ختمت شهادة زواج أليك ، لذلك يؤلني أشد الألم أن أضطر يوماً لنشر ورقة تعلن إفلاس ابنه ؛ ولكن هذه هي النتيجة التي أراك سائراً نحوها . فاصغ الآن لما أقول لك ، وثق أنني أخطبك كصديق قديم : إني أراك عاقداً عزيمتك على مواصلة حياة الشعر والخيال . ولي صديق في درو اسمه مسيو بربل - جورج بربل وهو عالم يعيش وسط الكتب والأوراق . ويزور باريس كل عام ، وله مؤلفات عديدة . وهذا الصديق العالم الخبير هو الذي يحسن النصيحة لك متى اطلع على شعرك ، فإما نصح لك بالضي فيه أو نصح لك بالعود إلى العناية بامرأتك وأعمالك ، فإن شئت كتبت له خطاباً تحمله إليه وتضمني لما يدلى به إليك »

فقال داود :

« أكتب الخطاب وإنه ليؤلني أنك لم تخاطبني بذلك قبل هذا اليوم بزمان »

وعند شروق شمس اليوم الثاني كان داود يسير

وألقى امرأة في القرية ؛ شديدة العناية بأواني اللبن وأوعية الطهي ، فهي دائماً نظيفة لامعة ، وكانت إلى جانب ذلك ناعمة الصوت إذا غنت أشجت السامعين .

ولكن جاء يوم فتح فيه داود درجاً مقفلاً منذ زمان ، فأخرج منه أوراقاً وقرض بأسنانه طرف قلم من الرصاص ، وكان الريح قد أقبل وحرك أوتار قلبه ، وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقد نسي إيفون وهام قلبه بجمال الطبيعة وما تمثل فيها من بهاء وعظمة . وقد أثر في نفسه تأثيراً غريباً ذلك الشذا الجميل المنبعث من الغابات والمراعي . وكان من قبل يذهب كل يوم بقطيعه ويعود به في المساء سالماً إلى حظيرته . أما الآن فقد ألف الرقاد إلى جانب السياج يرص الكلمات بعضها إلى جانب بعض على صفحات القرطاس ، تاركا الغنم تشترد في كل مكان ، وأدركت الذئب أن انهماك الراعي في صياغة الأشعار تيسر لها الانقضاض على فرائسها المشتهاة ، فكانت تتسلل من الغاب إلى المرعى تخطف ماتشاء من الخراف .

ونما محصول داود من الشعر وتناقص عدد قطيعه ، وتسربت الحدة إلى أخلاق إيفون وقلت عنايتها بأوانيها ولكن عينها ما زالتا محتفظتين بيريقيهما . ولقد صارحت زوجها بأن إهماله قد أدى إلى نقصان عدد القطيع وأنه سينزل الدمار بالبيت فاستأجر داود غلاماً يرعى الأغنام عليه ، وحبس نفسه في غرفته الصغيرة بأعلى البيت مكباً على صياغة الأشعار . وكان الغلام الذي استأجره لرعاية الغنم شاعراً بطبيعته ولكنه لم يكن يعرف الكتابة فكان

في طريق درو متأبطاً حزمة شعره النفيس . وعند ذلك نفض التراب عن نعليه أمام بيت مسيو بريل . وفض الرجل العالم غلاف خطاب مسيو باينو ، فلما قرأه أدخل داود إلى مكتبه وأجله على مقعد كأنه الجزيرة وسط بحر من الكتب .

وكان مسيو بريل رجلاً حى الضمير ، تناول حزمة الورق التي تحتوى شعر الفتى فكسر خاتمها وأخذ يقرأ ما فيها بسرعة العالم الخبير ودقة الناقد الصادق .

وكان داود في الوقت نفسه جالساً يضطرب في وسط ذلك البحر من العلوم ، وقد خيل إليه أن نصف العالم لا بد أن يكون من المؤلفين .

وانتهى مسيو بريل من قراءة المجموعة كلها فرفع نظارتيه عن عينيه ومسحهما بمنديلته وسأل داود : « ها ، يتمتع صديق باينو بصحة جيدة ؟ » فأجاب داود :

« إن صحته على خير ما يكون »

« كم عندك من الغنم يامسيو ميجنوت ؟ »

« ثلاثمائة رأس وتسعة رؤوس عند ما عدتها أمس . وقد أصاب القطيع سوء الحظ فأنحدر إلى هذا العدد بعد أن كان عدده ثمانمائة وخمسين رأساً »

« ولك زوج وبيت وتعيش في رخاء تدر الغنم عليك الخير الوفير وتذهب يومياً إلى الحقل فتستنشق الهواء الجيد وتأكل الخبز الأسمر اللذيذ . وليس عليك أن تليقظ وتتكىء هناك على صدر الطبيعة مصغياً إلى صفير الطيور السوداء بين الأحراج . . . فهل أنا مصيب الحقيقة ؟ »

فقال داود :

« لقد كان الأمر كما تقول »

فقال مسيو بريل وعيناه تدوران في بحر كتبه كأنهما تسيران مدى الأفق :

« لقد قرأت شعرك فانظر من خلال هذه النافذة وقل لي ماذا تري هناك على الشجرة يامسيو ميجنوت »

فنظر داود وقال :

« أرى غراباً »

فقال مسيو بريل :

« هنالك طائر ، وهذا ما يساعدني على أداء واجبي ، فهل تعرف هذا الطائر يامسيو ميجنوت ؟ إنه فيلسوف الجو ، إنه سعيد بقناعته بحظه ، وليس هناك من هو أسمى منه بنعيه وعينه المتقلبين وخطواته الطروب المرحية ، والحقول تزوده بما يطلب ، وهو لا يحزن أبداً لحرمائه من ريش جميل بهيج اللون كريش الصفارة الجميل . ولقد سمعت يامسيو ميجنوت النغمة التي خصته بها الطبيعة . فهل تظن أن البلبل أسمى من هذا الطائر حالا ؟ »

فهب داود واقفاً ، ونعب الغراب نعيها عالياً من موقفه فوق الشجرة وقل داود في ببطء :

« شكراً لك يامسيو بريل ، إذن لم تجد نغمة واحدة من نغمات البلبل بين كل هذا النعيب ؟ »

فقال مسيو بريل متنهداً :

« لو وجدت لها خفيت على . لقد قرأت كل كلمة . فدع الشعر أيها الرجل ، ولا تحاول أن تعالجه مرة أخرى »

فقال داود ثانية :

« أشكر لك نصيحتك وسأعود الآن إلى غنمي »

أن تكثر من مغادرة البيت والجلوس مع الجيران .
ولكن النار كانت مشتعلة في موقد المطبخ ، ففتح
داود باب الموقد وألقى بشمره فوق الفحم المتقد .
فكان لاحتراق الأوراق صغير خشن فقال الشاعر :
« هذا نعيم الغراب »

وصعد إلى غرفته فأقفل عليه بابها . وكان الجو
هادئاً فسمع كثير من الرجال صوت الطلق الناري ،
فجروا هنا وهناك ، وصعدوا درج السلم حيث استرعى
نظرهم الدخان .

ووضع الرجال جثة الشاعر فوق فراشه ، محاولين
أن يخفوا عن الأعين ريش الغراب الممزق : وتحدثت
النسوة معبرات في سيل من الألفاظ عما شعرن به
من شفقة وأسف ، وجرى بعضهم يحملن الخبر
إلى إيفون .

وكان أنف مسيو باينو الذي يشم رائحة شئون
الناس قد جذبته إلى دار القتل في طليعة القادمين
فالتقط الغدادة ففحص يدها المحلاة بالفضة فخص
الخبير وقد بدت عليه أمارات الأسى ، وقال يخاطب
القسيس :

« أرى على هذه الغدادة شعار السيد المركز
دي بويرتيز »

عبد الحميد ممدى

كتابنا الجديد
الموجز في المحاورات
لها خبر كتابه يعلمنا ذلك الفرنسية بنفسه
بإعانة جميع المطابع ومن كل منها مجلد ٦

« ألا تتناول الغداء مع فأريك ماخفي عليك ؟ »
« لا . إذ يجب أن أعود إلى حقل فأرعى قطيعي »
وعاد داود في طريق فيرنوى متأبطاً شعره .
فلما وصل إلى قرية مال إلى حانوت يهودى من أرمينيا
اسمه زيجار يتجر بكل ما يصل إليه من أنواع البضائع
وقال له داود :

« يا صاحبي . إن الذئب تأتى من الغابة فتسلطو
على غنمي وتخطفها ولا بدلى من سلاح لأحميها .
فأى نوع لديك من السلاح ؟ »
فمد زيجار يديه وقال :

« إن هذا اليوم من أسوأ أيامي يا صاحبي ، إذ
أرائى مضطراً أن أبيعك سلاحاً لن تدفع فيه عشر
ثمنه . ففي الأسبوع الماضى فقط اشتريت من بائع
متحول عربية من البضائع ابتاعها في مراد على
حساب التاجر . وهو مراد فيه قصر وأمتعة
سيد عظيم — لا أعرف لقبه — كان قد نقي لتأمره
على حياة الملك . وبين هذه البضائع مجموعة من
الأسلحة النارية القيمة . وهذه الغدادة التى أقدمها
إليك خليقة بأن تكون سلاح أمير من الأمراء !
ولن أتقاضى منك ثمنها أكثر من أربعين فرنكا
يا صاحبي ميجنوت ، وبذلك أخسر عشرة فرنكات
من ثمن المشتري ، ولكن قد تراها من الطراز القديم ..

فقال داود وهو يلقى الثمن على مائدة التاجر :

« إنها كافية ، فهل هى محشوة ؟ »

قال الرجل :

« سأحشوها وإن دفعت عشرة فرنكات

أخرى أعطيتك كمية من الذخيرة والرصاص »

وضع داود الغدادة تحت معطفه وسار إلى بيته
فلم تكن إيفون هناك فقد تعودت في العهد الأخير

ولم أكد أدنو منه في
الركن الذي هو جالس به
حتى ترائلت ابتسامة كانت
مرسمة على وجهه . وعلا
وجهه العبوس . ولم يكن
يعرف أحداً ممن بالحفلة
غير صاحب المنزل ، وقد
أبدى كل علامة على السأم

شجرة عيد الميلاد

للقصص الروي فيردرستريكي
بقلم الأستاذ عبد الحفيظ النشار

والملاة وإن كان قد بقي إلى نهاية الحفلة وبه من
الشجاعة ما بأي إنسان يقاوم نفسه حتى يحملها على
ما تكره . وقد علمت فيما بعد أنه من أهل الأقاليم ، وأنه
جاء إلى العاصمة في أمر شديد الخطر والخطورة ، وأنه
كان يحمل خطاب توصية إلي مضيفنا ، فدعاه هذا
من باب المجاملة إلى حضور الحفلة . ولكن أحداً لم
يدعه إلى لعبة الورق ولم يقدم إليه لفافة تبغ ولم يبدأ
معه حديثاً . ولعلمهم كانوا ذوي فراصة فمرفوا
الطائر في مسبحه بالجو من لون ريشه . لذلك قضى
الليل في قتل شاربيه . وكان شارباه جيلين ، ولكنهما
كانا كبيرين حتى ليخال من يراه أن الله خلقهما
أولاً ثم خلق هذا الرجل تابعا لهما لكي يفتلها

وكان من المدعويين رجل آخر استرعى انتباهي ،
ولكنه من نوع غير هذا النوع ، فإن مجرد النظر
إليه يدل على أنه صاحب شخصية . وكانوا يدعونه
جوليان ماستا كوقتش

وكانت النظرة الأولى إليه تدل على أنه موضع
الحفاوة والتكريم ، وأن مركز صاحب المنزل منه
مركز صاحب الشارين الطويلين من صاحب المنزل .
فقد كاد لا ينقطع سيل الفكاهات والطرائف التي
يتحدث بها إليه صاحب المنزل وزوجه ، وهما كثيرا

منذ أيام شاهدت عرساً . . . ولكن لا ، فلن
أتكلم عن العرس بل عن شجرة عيد الميلاد . . .
لقد كانت حفلة العرس جميلة وأحببتها جداً شديداً
ولكن حادثة شجرة عيد الميلاد أجمل ، ولا أعرف
لماذا أتذكر شجرة عيد الميلاد كلما رأيت عرساً . . .
ولكن هذا هو الذي حدث :

منذ خمسة أعوام كاملة دعاني إلى حفلة راقصة
أقيمت للأطفال خصيصاً رجل من أغنياء التجار له
قربانه ، وله معارفه وله أيضاً دسائسه . وقد
ظهر لي أن تلك الحفلة لم تكن إلا ذريعة لكي يجتمع
الآباء والأمهات ويتحدثون فيما بينهم بتلك النزاهة
المعتادة

وكنت دخيلاً في هذه الحفلة لأنه لم يكن لي
بأحد شأن خاص . لذلك كان في استطاعتي أن
أقضي هذه الحفلة بينهم وأنا بمنزل عن كل واحد
منهم . وكان بين الجلوس واحد يشابهني في ذلك ،
فكان لهذا السبب أول من استرعى انتباهي ، ولم يكن
مظهره دالاً على أنه ابن أسرة كبيرة أو أنه نبيل المولد .
وهو طويل القامة نحيل جداً ، تبدو عليه علامة البالغة
في الجد والوقار . وهو شديد الاناقة في ملبسه ،
ويظهر أنه لم يكن يميل إلى هذه الاجتماعات العائلية

جالساً فيها فجلست في ركن منها وفي يدها الدمية
تلاعبها

وكان كل من الضيوف يحدث جاره بأن أباه
من أغنى التجار وبأنه منذ الآن قد أعد لها بائنة
قدرها ٣٠٠ ألف روبل

ولما التفت إلى الجماعة الذين سمعهم يتحدثون
بهذا وقع نظري على جوليان ماستا كوفتش فوجدته
واقفاً ينصت إليهم ويداه مشبكتان خلف ظهره،
ورأسه مائل إلى أحد الجانبين. وكنت طول هذا
الوقت أعجب من الذكاء الذي أبداه صاحب المنزل في
توزيع الهبات على الأطفال، فالطفلة التي أعد لها أبوها
بائنة كبيرة تهدي أحسن لعبة، وسائر اللعب تقسم
وفق مرا كز الآباء في الحياة الاجتماعية

وكان آخر طفل دعى لتقدم إليه هدية يبلغ من
العمر عشرة أعوام، وهو هزيل أحمر الشعر ضعيف
البنية. وكانت هديته كتاب قصص ليس فيه صور
ولا رسوم. وهو ابن المربية، وهي أرملة مسكينة.
وشكل الطفل دال على الحزن، وعليه كساء رث،
فتناول كتابه وانساب في بطاء بين الأطفال حاملي
اللعب

وقد كان يود أن يئذل أى شىء يلعب معهم
ولكن كيف وليست له لعبة؟

إننى من الذين يحبون أن يراقبوا الأطفال ليرى
كيف تناضل أرواحهم روح الجماعة

وقد لاحظت أن الألعاب الأطفال كانت سحراً
وفتنة في نظر الطفل الأحمر الشعر. وشرع الأطفال
يلعبون فأصر على أن يلعبهم وعلى أن يناضل لو
منهوه؛ فابتسم وسار نحو واحد منهم فأقمه من مكانه

الالتفات إليه يدنوان منه ويحومان حوله ويستجمعان
الضيوف لتقديعهم إليه. ولكنهما لا يقودانه ليقدماه
إلى أى إنسان. وقد رأيت الدموع تترقق في عيني
صاحب المنزل وفي عيني زوجه لما قال جوليان
ماستا كوفتش إنه قلما قضى ليلة سارة كهذه الليلة.
وقد أخذت بعد انتهاء الحفلة أشعر بالسأم من هذا
الضيف فانصرفت إلى الأطفال أتسلى بملاحظتهم،
وكان خمسة منهم يستحقون النظر والملاحظة، فهم
شهادة بعناية أمهاتهم بهم؛ ثم تركت الغرفة بعد ذلك
إلى الغرفة المجاورة ولم يكن فيها أحد، فجلست في
طرفها المجاور للمكان الزجاجى المد الحفظ الأزهار في
غير فصولها

وكنت لا أزال من مكانى هذا أراقب الأطفال
والحق أن رؤيتهم تسحر

لقد كانوا يابون محاكاة من أهم أكبر منهم على
الرغم من الجهود التي كانت تبذلها أمهاتهم ومربياتهم؛
ولم تمض ساعة حتى نجح هؤلاء الأطفال في تجريد
شجرة عيد الميلاد من أوراقها وأعوادها وفي كسر
أكثر من نصف الألعاب المعلقة فيها قبل أن
يقتسموا تلك الألعاب بينهم

وكان أحد هؤلاء الأطفال فتان الحسن أسود
العينين بمجد الشعر، وقد أصر في عناد على تصويب
بندقيته نحوى، وقد استرعى نظري كثيراً، ولكن
أخته استرعت نظري أكثر مما استرعاه. وهي في
عامها الحادى عشر، ولا يقل جمالها عن جمال كيوبيد؛
وتبدو عليها علائم الهدأة والتفكير. وعلى عينيها
الواسعتين وسم الأحلام؛ وقد أغضبها الأطفال
لأمر ما فتركهم وانسحبت إلى الغرفة التي كنت

بمثل حالة المخطيء الذى يؤنبه ضميره وانتصب على أطراف أنامله أمام الفتاة وأنحنى يقبلها وهو يتسم وقد كان إقباله نحوها على غير انتظار حتى أنها صرخت، عند تقبيله إياها صرخة فزع .

قال لها بصوت خافت وهو يقرص خدها :
« ما الذى تفعلين هنا يا بنية ؟ فأجابته : « نحن نلعب »
فقال بلهجة المستنكر : « مع من ؟ مع هذا ؟ »
وأشار إلى ابن المربية ثم قال له : « يجب أن تذهب إلى الغرفة الأخرى »

ظل الطفل صامتاً وهو ينظر محملاً في وجه الرجل ، فدار جوليان ماستا كوقتش بنظرة في الغرفة ثم أكب على الفتاة وقال : « ماذا معك يا عزيزتى ؟ دمية ! » فأجابته : « نعم ياسيدى » وقد قطبت حاجبيها وهي تجيّب . قال : « دمية ؟ ومن أي شيء تصنع الدمي ؟ ! »

فأحنت رأسها وقالت : « لا أعرف ياسيدى »
قال : « تصنع من الخرق » ثم نظر إلى الطفل وقال : « اذهب أنت إلى الغرفة الأخرى التى فيها الأطفال »

وكانت نظره إلى الطفل فى هذه المرة نظرة قاسية ، فقطب الطفلان وتثبت كل منهما بالآخر وأبيا أن يفترقا ، فقال جوليان وهو يخفض من صوته : « وهل تعرفين لماذا أعطوك هذه الدمية ؟ » فقالت : لا .

قال : « لأنك كنت طيبة - طيبة جداً طول الأسبوع » قال ذلك ثم عراه اضطراب شديد ونظر حوله فقال بصوت خافت يكاد لا يسمع وبلهجة شديدة الدلالة على فقدان الصبر : « إذا جئت إلى

وجلس بدله لأن الأطفال كانوا قد جلسوا فى دائرة ولم يتركوا له مكاناً .

واسكن ذلك الطفل حمل عليه فلطمه لطمة قوية فلم يلبث أحمر الشعر حتى رفع صوته بالبكاء ، وجاءت أمه فنبهته عن اللعب معهم فانسحب نحو الغرفة التى كنت جالساً بها مع الفتاة التى تقدم ذكرها وتركته الفتاة يجلس بجانبها واشتركا فى لباس الدمية ثوبها ومضى نحو نصف ساعة ، وكاد الناس يدركنى وأنا جالس أنصت حيناً إلى حديث الطفل أحمر الشعر ويشرد ذهني حيناً . وعلى حين فجأة دخل جوليان ماستا كوقتش وكان قد انسحب من غرفة الجلوس التى أنا فيها عند ما اشتد خييج الأطفال . ولم يغب عني وأنا جالس أراقبه من الركن الذى أنا فيه أنه كان فى الفترة الأخيرة من الوقت يتحدث مع والدته الطفلة الجالسة مئى فى الغرفة .

وظل واقفاً بعد الحديث يفكر وكأنه يعد على أصابعه - ثلاثمائة - أحد عشر - اثنا عشر عاماً - خمسة أعوام - سعر أربعة فى المائة - خمسة أضعاف ، ستون وأربعمائة -

ويظهر أن هذا الخبيث يعجبه الحساب على سعر أربعة فى المائة ، ثم أعاده على حساب ثمانية ، ثم على حساب عشرة .

وخرج من الغرفة فأطال النظر إلى الطفلة . وقد تخبطانى نظره فلم يرني ؛ ويظهر أن الحساب هو الذى أغفله عني ، ثم مسح يديه وأخذ يتنقل من مكان إلى مكان وهو لا يزال يزداد اضطراباً .

وأخيراً تمكن من ضبط عواطفه وألقى نظره على عروس المستقبل وهم أن يتجه نحوها ، ثم وقف

ودخل تحت المنضدة فحار مطارده ثم أخرج منديله وقلبه فجعله كالسوط وضرب به الطفل ليخرجه من مكانه .

ولا بد هنا من الملاحظة أن جوليان كان قوى البنية ضخيم الخدين تبدو عليه علامات التغذية الجيدة . وكانت أطراف أصابعه كأنها لضخامتها حبات البندق وقد أحالته كراهيته (أو لعلمها غيرته) نحو الطفل إلى الجنون المحض .

ضحكت من أعماق قلبي فالتفت جوليان ولعله ذكر في هذه اللحظة احترامه نفسه وكبر أهميته . وفي الوقت نفسه ظهر صاحب المنزل عند الباب وخرج الطفل من تحت المنضدة فأخذ يمسح ذراعيه وركبتيه وأسرع جوليان فجمع منديله الذي كان مقتولاً كالسوط وجعله تحت أنفه .

ونظر صاحب المنزل إلى ثلاثتنا نظرة المرتاب ، ولكنه وهو رجل يعرف الكثير من شئون الدنيا قد انتبهز هذه الفرصة لينال من ضيفه الكبير الأهمية أكثر مما يستطيع أن يناله منه فقال : « هذا هو الطفل الذي حدثت بك شأنه وأنا أعتد على فضلك فيما يتعلق به » وأشار إلى الطفل الأحمر الشعر .

ولم يكن جوليان قد استرجع إلى الآن سيطرته على نفسه فقال وهو شارد الذهن : « أهذا هو ؟ »

قال صاحب المنزل : « هو ابن المربية ، وهي فقيرة مسكينة وقد كان زوجها موظفاً شريفاً ، فإن كان في وسعك . . . » فصاح جوليان مقاطعاً : « مستحيل مستحيل ! أرجو أن تعذرني يا فيليب ألكسيفنش فلا توجد محال خالية ، وفي قوائم المرشحين نحو عشرة

منزلكم لزيارة أهلك فهل تحبينني يا عزيزتي ؟ »

وحاول أن يقبلها على أثر هذا السؤال ، ولكن الطفل الأحمر الشعر أمسك بيدها كمن يريد أن يحميها وبكى بأعلى صوته كالستجير . فأنارت حركته هذه غضب الرجل وصاح : « اذهب ! اذهب إلى الغرفة الأخرى حيث يلعب رفاقك » فقالت الطفلة : « لست أريد أن يذهب ، فإذهب أنت ودعه هنا »

وكادت الطفلة تبكي . وسمع وقع أقدام من ناحية الباب فززعج جوليان ، وكان الطفل الأحمر الشعر أشد منه انزعاجاً فترك يد الطفلة وتسلسل إلى غرفة المائدة . وكى لا يسترعى جوليان نظر أحد ممن بغرفة الجلوس تسلسل هو أيضاً إلى غرفة المائدة ، وكان وجهه قد صار من الاحمرار في مثل لون الحناء ، حتى أن نظرة واحدة منه إلى وجهه في المرآة تكفي لازعاجه . وكان سبب الاضطراب كله أن حسابه أضله فأوهمه أن الطفل عقبة في سبيل الثروة التي تنتظره . نعم إنه الآن لا يزال في العاشرة فهو قليل الخطر ولكنه سيصبح خطراً بعد خمسة أعوام أو نحو ذلك . وتتبعتهما بنظري فوجدت نظرات جوليان صارت كأنها نظرات تعبان ، وأصبح صوته مسماً . وأخذ يتوعد الطفل . وكان الطفل يتراجع أمام هذا الوعيد حتى لم يعد مكان يتسع لتراجعهم ، وكان جوليان يصيح به :

اخرج من هنا ! ما الذي تصنعه هنا ؟ تسرق الفاكهة ! أليس كذلك ؟ اذهب من هنا يادميم إلى أمثالك !

وأدرك اليأس هذا الطفل المسكين فانكمش

فنظر إلى جوليان نظرة مسمومة وقال لي جاري :
« كلا » ولكن سؤالى وإن أجاب عليه سلباً قد
أثار اهتمام الجميع

ومنذ عهد غير بعيد مرتت بكنيسة فرأيت عند
بابها جمعاً كبيراً قد احتشد ليحضر حفلة عرس -
وكان اليوم مكفهرًا وقد بدأ المطر يتساقط . واختفت
الصفوف فدخلت فرأيت العريس بديناً مرهلاً تبدو
عليه علامة التغذية الدسمة . ورأيت رجلاً قصيراً
يروح ويندو من طرف الكنيسة إلى الطرف الآخر
وهو لا يكف عن إصدار الأوامر

وأخيراً سمعت أن العروس مقبلة فاندفعت في
وسط الزحام ، ورأيت جمالاً عجيباً قد اكتسى بعلام
الحزن العميق

كانت العروس شاحبة مضطربة حتى لقد خلت
أن عينيها حراوان من أثر البكاء . وتحت مظهرى الجمال
والحزن طهارة الطفولة التي كانت كأنها تضرع
وتتوسل طالبة الرحمة

وكانوا يقولون إن عمرها ستة عشر عاماً .
ونظرت إلى العريس محققاً مدققاً فعرفت أنه جوليان
ماستا كوقتش الذى لم أكن قد رأيته فى الأعوام
الخمس الماضية . ثم نظرت إلى العروس ورحمك
يا رب ولطفك !

رأيتها فوليت فراراً من باب الكنيسة على
عجل ، وسمعت الناس يتحدثون عن غنى العروس
وعن بائنتها البالغة ٥٠٠ ألف روبل .

قلت فى نفسى : « لقد صدق حساب هذا
اللعين » . وأسرعت فى مشيتى فراراً

عبد اللطيف النشار

أحق منه . . . إبنى آسف »

فقال صاحب المنزل : « مسكين ! مسكين ! »
قال جوليان : « إنه شقى شرير . أخرج من
هنا أيها الوغد الصغير . لماذا بقيت حتى الآن ؟
أخرج إلى سائر الأطفال »

ونظر إلى نظرة جانبية وهو عاجز عن السيطرة
على نفسه وأنا أيضاً عاجز عن السيطرة على نفسى ،
فضحكت فى وجهه ساخراً منه ، فالتفت إلى المضيف
وسأله بصوت يكفى لبلوغ مسمي عمن عسى أن
أكون . وهامس الرجلان وخرجا من الغرفة غير
مبالين بى .

واهتز جسدى من شدة الضحك وخرجت أيضاً
إلى الغرفة الأخرى . وهناك رأيت الرجل العظيم
محاطاً بالآباء والأمهات وهو يتكلم باهتمام مع
سيدة قدمت إليه فى تلك اللحظة . وكانت تلك
السيدة ممسكة بيد الطفلة ، وكلام جوليان كله إطراء
للطفلة وثناء عليها ، فهو يتنقل من مدح جمالها إلى
مدح مواهبها إلى مدح تربيتها والأم تصني إليه ولا
تكاد تمنع دموع السرور أن تفيض ، والأب يبدى
علامة لشكره ابتسامة عذبة .

وكان السرور شاملاً فاشترك فيه كل إنسان
حتى الأطفال ، ووقفوا اللعب حتى لا يشوشوا على
التحدثين . وسمعت أم الطفلة وهى تتخير المتقى من
اللفظ فى مخاطبة ذلك الرجل داعية إياه أن يتنازل
فيشرف منزلها بالزيارة ، وسمعته يقبل الدعوة فى حمس
لا يحاول أن يخفيه ، ثم تجمع المدعوون من أرجاء
الغرفة مقبلين نظرهم بين والده الفتاة وبين جوليان .
وسألت جارى بصوت عال سمعه الجميع : « هل
هو متزوج ؟ »

أما في كل آن ومكان تملأ ابتساماتها جوانب قلبي
بأبي قضاء قد تنى إلى الشقاء أيتها العناية العليا ؟
وماذا كان على أن أقترح من قبل لأصل إلى هذه
الحياة الحرة ، إلى مثل هذا الولاء والراحة حيث تنشق
أوائل ذرات الآمال .

على م يشكو الناس الحياة ؟ لهم الله ! أليس لديهم
الحب ؟ وهل من شيء أعذب من الحب ؟
أفما يكفي الحب إحساناً أنه يجعل الإنسان
شاعراً بالحياة مدركاً بأنه خليفة ربه ؟

حذار أن تشك في الحب فهو سر لن تجد له
تفسيراً ؛ ومهما قيدته الناس بأنواع الاغلال وأحاطوه
بالدنايا والأقدار ؛ ومهما تراكم فوقه من المعتقدات
السخيفة ما يشوهه ويفسده فإنه ليقى بين هذه
الأقدار القوة العنيفة المسيطرة ، والناموس السماوي
الذي يتساوى بقدرته وتعاليه عن الإدراك ، والناموس
الذي رفع الشمس في أفلاكها . .

ماهي هذه الرابطة التي تشد الناس بقيود أصلب
وأمتن من الحديد وهي لا تلمس ولا ترى ؟
يصادف رجل امرأة ، فما هي إلا نظرة وكلمة فإذا
هذه المرأة راسخة في تذكاره لا يجد إلى محوها من
صفحاته سبيلاً .

من الذي قضى بأن يحدث هذا الانطباع من
ذات هذه المرأة دون سواها ؟
ارجع إلى العقل والاعتقاد والحس ؛ الجأ إلى
رأسك وإلى قلبك وعد بالايضاح إذا تمكنت منه ،
فأنك لن تجد أمامك إلا جسدين يواجه أحدهما
الآخر وليس بينهما إلا الهواء والمدي .

ما أسخف من يعتقد بإنسانيته ويجسر على
اقتحام الحب لتحليله ، أرأيتم الحب لتصفوه ؟
إن أحداً يره ، بل شعرتم به شعوراً منكم لم



اعترفان في العصور

لأفريد موريه

بمعلم الأستاذ فليكس فانس

الجزء الثالث

الفصل السادس

و كنت في ذات ليلة عند مدام بيارسون وكان
قد مر على ثلاثة أشهر لم يفتني منها يوم دون أن
أجتمع بها ، وما أذكر من هذه الأيام إلا أنني
كنت أراها ؛ وقد قال لافرونيير : يكفي الإنسان أن
يوجد قرب من يهوى سواء استغرق في تفكيره
أو تكلم ، وسواء اتجه فكره إليه أو إلى أي
موضوع كان .

كنت عاشقاً . مرت علينا ثلاثة أشهر ونحن
نتمتع بالتمتع ساعات طويلة فاطلمت على أسرار
أعمالها المبرورة ؛ وكنا نجتاز الغابات وهي ممتطية
مهراً وأنا أمشي وراءها ويدي عصا صغيرة . فكنا
نذهب حاملين همتنا وحبورنا لنقرع أبواب الأكواخ
وكان على مدخل الغاب مقعد خشبي كنت
أذهب فأجلس عليه كل مساء بعد العشاء ، فالتقي
بها هنا لك كأن الصدفة تسوقنا إلى هذا المكان
بلا موعد .

وفي السهرة كنا نلعب بالورق مع عمها قرب
الموقد كما كان الحال في عهد والدي ، وهكذا كانت

ولو أن هذه الحساء لم تفتح لي بيتها بمثل هذا الولاء، لكنت عززت عاطفتي بشيء من الأقدام ولم أكبت هذه الأشواق العنيفة التي كانت تهزني هزاً كلما فارقتها ولو إلى حين. ولكن ما كان يبدو لي من صراحة وإخلاص في معاملتها لي كان كافياً لصدى عن كل إقدام؛ وفضلاً عن ذلك فإن مدام ييارسون لم تبدل لي صداقتها إلا استناداً إلى اسم والدي، وما كان هذا الاعتبار إلا ليزيد في احترامها وفي ميلي إلى المحافظة على كرامة هذا الاسم.

قيل « إن من تحدث عن الغرام فقد كاشف من يحدثه بغرامه » لذلك لم أذكر الغرام إلا عرضاً في حديثي؛ وكنت كلما تعرضت لكلمة الحب أرى جليستى تقتضب الكلام وتتحول إلى موضوع آخر، وما كنت لأعرف لذلك سبباً، غير أنني كنت في مثل هذه المواقف ألجأ على وجهها التجهم المتألم؛ وما كنت سألتها شيئاً عن حياتها الماضية ولا خطر لي أن أفاقمها في هذا الأمر لذلك ضربت صفحاً عن كل محاولة.

وكان يقام مرقص في كل يوم أحد في القرية فكانت تذهب إليه في أغلب الأحيان؛ وما كانت لتبدل شيئاً من بساطة ملابسها لهذه المناسبة بل كانت تكتفي بوضع زهرة تربطها على شعرها بشربطة زاهية قزيد في رونق شبابها. وكان الرقص يثير فيها الراح لأنها كانت تحبه كرياضة بريئة. وكان لها مقعدها الخاص قرب جوقة الموسيقى، فكانت تتوجه إليه قافزة ضاحكة لتجتمع بصويحاتها ثم تندفع إلى الرقص دون انقطاع. وكنت ألاحظ زوال الكلفة بيني وبينها في هذه الأوقات؛ وما كنت أشترك في الرقص لأنني لم أزل في مدة الحداد. ولكم خطر لي حين أراها مرحلة أن أتهز الفرصة لأبوح

لقد تبادلتم النظرات مع شخص مجهول مر بكم فسمرتم فجأة بانطلاق شيء منكم لا يحيط به اسم ولا يحدده تعبير، فوقف الهوى بكم يشد بأعراقكم إلى الأرض كأنتكم حبة الحنطة تشعر بالحياة تستنبت منها سنابل الحصاد.

وكنا جالسين سوية أمام النافذة المفتوحة نطل على حديقة ينجر في طرفها ينبوع صغير تصل سقسقته إلى آذاننا. ولكم أتمنى لو أنني أعيد الآن ما أسالت هذه العين من قطرات ونحن نتبادل الحديث؛ تلك أويقات كنت أأمل منها حتى لأعنى يقولون إنه لا شيء أسرع إلى القلب من الشعور بالنفور، غير أنني أرى أسرع منه إلى القلب الشعور بالتفاهم وبتروصد الحب للمتفاهمين. فإن لكل كلمة في هذه المرحلة الأولى قيمة تفوت كل تقدير وما يقف الفكر عند ما تنطق به الشفاه عند ما تتجاوب في أحاديثها القلوب.

لله ما أحلى هذه النظرات الأولى يبادلها العاشق نظرات امرأة تجتذبه؛ ولله أوائل حديث كأنه محاولات تفكير متردد ونجاوب بيان؛ ثم يشعر العاشقان بفرح غريب إذ يتحقق كل منهما أن صوته قد أهاج صدى كامناً في قلب الآخر فيحيا حياة مزدوجة يدهشه تقاربها وتلاصقها، وإذ يثق أحدهما بالآخر ويتيقن من حبه ويعلم أنه ظفر بالتأخي المنشود تفيض الروحان غبطة فتتمطل لغة الكلام إذ يسبقها الحس الباطن بياناً وإدراكاً وإذا تحاطبت الروحان أسكت تحاطبهما الشفاه. فيالها من أويقات صمت يحى فيها من التذكار كل الوجود.

وكان الحب قد قبض على مشاعري منذ أول نقياً وترايد حتى بلغ الهيام؛ ولكنني استحييت من هذه المرأة فوجت أمامها لا أبدى ولا أعيد.

وما كنت أعرف سبباً لإصراري على الصمت ،
وبدلاً من أن أتوجه إلى مسكني ذهبت شارداً في
القرية وفي الغاب ، فكننت أجلس حيث أجد مقعداً
ثم أنهض فجأة . وما انتصف الليل حتى رأيته
أقرب من بيت مدام بيارسون فرأيته مغطى من
النافذة فارتعشت وأردت أن أنكص على أعقابى
فوقفت كالأخوذ ثم تقدمت على مهل وقعدت تحت
نافذتها ولا أعلم إذا كانت عرفتني . ومرت دقائق على
وجودى فسمعت صوتها الناعم الزمان يتعالى بنشيد
هيام ، وشعرت بزهرة تسقط على كتفي فإذا هي ورده
كانت تحلى بها صدرها في المساء ، فرفعتها إلى شفتي
فقلت :

— من هنا في مثل هذه الساعة ؟ أهذا أنت ؟
وناديتي باسمي . وكان الحاجز مفتوحاً فنهضت
دون أن أجيب ؛ ودخلت الحديقة ، وإذا وصلت إلى
وسط المرج توقفت لأنني كنت كسائر في المنام
لأنني ما أفعل

ولاحت على باب الدرج وهي تحديقاً بشماع
القمر وقد بدا التردد على ملامحها . ومشت نحوى
فتقدمت إليها وعصاني الكلام فانطرحت جاثياً أمامها
وقبضت على يدها

فقلت : اصغ إلى . أنا عارفة . ولكن إذا
كان بلغ الأمر منك هذا الحد فيجب أن تذهب . أنت
تجبي كل يوم فترحب بك . أما يكفيك هذا ؟ وما
بوسي أن أفعل من أجلك ؟ أما بذلت لك صداقتي ؟
ولكنكم كنت أتمنى لو أنك حافظت على صداقتك لي
إلى أمد أطول

لها بجي . ولكنني ما كنت أحاول ذلك حتى أشعر
برهبة لا أستطيع مقاومتها فأعود إلى موقفي الجدى .
وعزمت مراراً أن أكتب إليها ولكنني مرقت
جميع رسائلي قبل أن أصل إلى نصفها .
وفي هذا المساء كنت تناولت العشاء معها
فكننت أنظر إلى ما حولي من هدوء وسلام وأفكر
في الراحة التي دعتها منذ تعرفت إليها ، فقلت في نفسي
ولماذا أطلب مزيداً على هذا ؟ أما يكفي ما أتمتع به ؟
فما أدري لعل الله لم يقدر لي مزيداً . ولعل هذه المرأة
تصدني إذا أنا أعلنت حبى لها فأحرم مشاهدتها .
وهل إذا قلت لها إننى أحبها سأزيد في سعادتها ؟ وهل
أبلغ أنا سعادة أوفر من التي أتمتع بها الآن ؟

وكننت أفكر في هذه الأمور وأنا مستند إلى
البيانو فشعرت بحزن شديد يستولى على ، وبدأ الغسق
يعد ظلاله ، فأوقدت شمعة ثم عادت نحو مقعدها
فأرأت دمعاً تتدحرج على خدي فقلت : — مالك ؟
فأدبرت وجهي

والتمست عذراً فما عثرت على ما أعتذر به .
وحاذرت أن تقع عيناها على عيني فتوجهت نحو
النافذة . وكان الهواء يهب بليلاً والقمر يطل مرة
وراء أشجار الزيزفون حيث كننت رأيته لأول مرة
فحكمتي الدهول ونسيت كل شئ حتى وجودها هي ،
ورفعت ذراعى نحو السماء فخرجت زفرة كأنها الأنين
من أعماق فؤادى

ونهضت من مكانها فإذا هي واقفة ورأى تقول :
— ما هذا ؟

فقلت لها لقد تذكرت أبي ولجميعى بموته عندما
رأيت هذه الأشجار

واستأذنت بالانصراف وخرجت

الفصل السابع

قلت هذا وسكتت كأنها تتوقع جواباً . وإذ رأيته لا أزال متهدماً تحت وقر أحزاني سحبت يدها من يدي على مهل وتراجعت خطوات ثم وقفت لحظة وتولت إلى بيتها

وبقيت على المرح وكنت أتوقع أن أسمع منها ما سمعت ، لذلك لم أتردد في التصميم على الذهاب . وقفت وفي قلبي غصة وانطلقت أجوب أنحاء المدينة وأنا أحرق بالمسكن وبنافذة غرفة مدام بيارسون ؛ ثم عدت أدراجي إلى الحاجز وخرجت مغلقاً الباب ورأي ؛ وقبل أن أبتعد وضعت شفتي على القفل وقبلته طويلاً

وعند ما وصلت إلى مسكني طلبت من لاريف أن يعد متاعى لأنني أزمعت السفر في الصباح ، فدهش المسكين لهذه المفاجأة ، فأشرت إليه بأن ينفذ الأمر دون أى استفهام . فأحضر صندوقاً كبيراً وأخذنا نضع المتاع فيه

وكانت الساعة الخامسة صباحاً وقد لاحت بشير الصباح فوقفت أسأل نفسي الى أية جهة سأسافر ؟ وما كان خطري في هذا الأمر حتى الساعة ، فاضطربت له ووهي تجلدى ، فسرحت أنظاري على الحقول وما وراءها من آفاق فاستولى الوهن عليّ فاستلقيت على مقعد وتبلبلت أفكاري . رفعت راحتي الى جيبني فإذا هو يتصبب عرقاً . وشعرت بحمى شديدة تهز جميع أعضائي ، فنهضت أطلب فراشي وأنا أستند الى ذراع لاريف . وطرأ عليّ الدهول فما كنت أذكر شيئاً مما جرى لي . وصر النهار وأمسى المساء فإذا بنغمات موسيقية تصل الى أذني

فتذكرت أن اليوم يوم أحد ، فأدركت ان الرقص قد دار فأرسلت لاريف ليرى ما اذا كانت مدام بيارسون موجودة فيه . فعاد لاريف قائلاً : انها ليست هناك . أرسلته الى بيتها فرأى النوافذ مقفلة ، وقالت له الخادمة ان سيدتها سافرت مع عمتها لقضاء بضعة أيام عند أحد الأنساب في مدينة . . . وهي مدينة صغيرة تبعد مسافة ليست قصيرة عن القرية . ودفع اليّ لاريف بكتاب سلمته إياه الخادمة جاء فيه ما يأتي :

« منذ ثلاثة أشهر لم أقطع عن مشاهدتك ؛ ومنذ شهر اتضح لي أنك أخذت بالمعاطفة التي يدعوها من في سنك غراماً . وكنت أحسب انك مصرّاً على كتمان أمرك والتغلب على نفسك . لقد كنت أحترمك وليس لي أن أوجه أية ملامة اليك عما حدث وعلى فشل غرمك .

ان ما تحسبه حباً ليس إلا شهوة ؛ ولا أجهل ان كثيرات من النساء يحلو لهن تنبيه مثل هذه الشهوة وكان الأجدر بهن أن يرضين كبرياءهن باكتساب الإعجاب دون إثارة الشهوات ، ولكنني أرى الآن ان هذه الكبرياء نفسها خطيرة وقد أسأت باندفاعي معها تجاهك .

انني أسبقك في مرحلة العمر بسنوات ، فاطلب منك ألا تحاول الاجتماع بي لأن من يستسلم لضعفه لن يجد بعد ذلك للنسيان سبيلاً . ان ما جرى بيننا لا يمكن العود اليه ولا يمكن أن يُنسى تماماً .

انني لا أفارقك بلا حزن ، فأنا سأغيب عدة أيام . فإذا بارحت البلد أثناء غيابي فأنني لأشكرك على ذلك كدليل على ما تشعر به نحووي من صداقة واحترام . »

بريجيت بيارسون

الفصل الثامن

أننى ملت إلي الظن بأن ارتياحها ناشئ عن المفاجأة ليس إلا .

ولكنها تماكنت روعها وكررت كلماتها بكل هدوء ، فقلت لها : أطلب إليك أن أراك للمرة الأخيرة . فأننى سأسافر وأترك هذه البلاد فأصعد بأمرى بل أذهب إلي أبعد ماتقصدين . أقسم لك بأننى سأبيع بيت أبى وكل ما يملك لأهاجر إلى البلاد الأجنبية ! ولن أنفذ هذا القسم إلا إذا قبلت رجائى ، وإلا فأننى أبقي . . لا تخافى . فأننى مصمم على هذا . فقطعت حاجبها وأجالت نظرات غريبة إلى ما حولها ثم قالت فى شئ من اللطف : تعال غداً فى النهار فأقابلك . وذهبت .

ذهبت إليها فى اليوم التالى عند الظهر فأدخلتني الخادمة إلى غرفة قديمة الرياش حيث وجدت مدام بيارسون وحدها فجلست تجاهها وقالت : - ما أتيت لأشرح ما أعانى أو لأنكر ما فعل حبك بى . لقد قلت لى فى كتابك إن ماجرى بيننا لا يمكن نسيانه فما أصدق ما عبرت عنه ؛ غير أنك قلت بعد ذلك إن اجتماعنا على ما كنا عليه من قبل أصبح مستحيلا ، وهذا مالا أراك على حق فيه . أنا أحبك وما فى ذلك إهانة لك ، فوضعك لم يتغير مادمت أنت لا تحببىنى ، فإذا ماعدت إلى الالتقاء بك فلن يكون مدار الأمر إلا على وحدى وحبى لك كافل لك صياتك .

وأرادت أن تقاطعنى فلم أتوقف بل تابعت قائلاً : - بحقك اسمح لى أن أذهب إلى آخر حديثى . إننى أعلم ولا يعلم أحد أكثر منى أن حبى سيتقلب على كل ما لك من حرمة عندى وعلى كل عهد أقطعه تجاهك على نفسى . وأنا أكرر لك القول بأننى ما أتيت لأنكر عليك ما يضره فؤادى ؛ وأنت أعلنت لى أنك عارفة بحبى منذ زمان فما الذى ردنى حتى

وأزمتنى الحى الفراش أسبوعاً كاملاً . ولما استعدت قواى كتبت إلى مدام بيارسون أقول لها إننى أطيع أمرها ، وكتبت هذا العهد وأنا عازم على القيام به غير أننى مالمثت حتى عدلت عنه .

استقلت عربة فسارت تبعدنى عن القرية حتى إذا أصبحت منها على مسافة ميلين صرخت بالسائق فأوقف السير وترجلت أتمشى على الطريق وأنا معلق أبصارى على البلد الذى قررت مبارحته ، ووقفت تتنازع عنى عوامل بلبت من خاطرى ، فشعرت بأننى أعجز من أن أتابع طريقى وأن مواجهتى الموت فى مكافئ أسهل علي من ركوب العربة المولية . وأصدرت أمرى إلى السائق بالنكوص وبدلاً من الاتجاه نحو باريس انطلق الفرسان يقطعان الأبعاد إلى قرية . . . حيث نقيم مدام بيارسون .

وصلت إلى هذه القرية عند الساعة العاشرة ليلاً ، وماكدت أنزل فى الفندق حتى طلبت من الخادم أن يدلنى على بيت نسيب بريجيت . فذهبت إليه ، وإذا قرعت الباب قابلتنى الخادمة فقلت لها أن تبلغ سيدتها أن رسولا من قبل دسبريس كاهن القرية يطلب مواجهتها .

وتوارت الخادمة فى الدهليز فوقفت فى الباحة وكان المطر يتساقط ، فتقدمت إلى قبو تحت الدرج أتقى فيه الليل ؛ وبعد فترة نزلت مدام بيارسون تتبعها خادمتها فما رأتنى وأنا فى الظلمة ، فتقدمت إليها ووضعت يدي على ساعدها فرجعت مذعورة ونادت : « ماذا تريد منى ؟ »

وكان صوتها يرتجف ؛ وإذا تقدمت الخادمة بالنور رأيت وجهها ممتعاً إلى درجة حسبتها نافرة منى لولا

الذى أحاذره هو فقدانى إياك . ألقى التجارب على
فاذا ما بلغ بى الألم حدا لا قبل لى باحتماله فأننى لن
أردد فى الرحيل . وأنت واثقة من خضوعى لأننى
مستعد اليوم للسفر تنفيذاً لأمرك .

وتوقفت أنتظر جوابها ، فنهضت من مكانها فجأة ثم
عادت فاستلقت على مقعدها وبعد صمت قصير قالت :
— كن واثقاً من أن الأمر ليس على ما تظن .
ولحظت أنها تتلمس فى تذكرها كلمات تخفف
من صرامة بيانها فوقفت وقلت لها :

هى كلمة واحدة لا غير أطلبها منك . أنا
لا أعرف من أنت فاذا كان فى قلبك رحمة فأنا
أشكرك عليها . قولى هذه الكلمة فإني حياتى
متوقفة عليها .

وهزت رأسها بتردد ، فأردفت قائلاً : إنك نظنين
أننى سأشفي وأنا أسأل الله ألا يحرمك من هذا
الظن . إذا أنت طردتنى الآن .

ونظرت إلى الأفق فرأيت العزلة تنتصب أمامى
ورأيتني طريداً شريداً فشعرت بتجمد الدم فى عروقى
ونظرت إليها وأنا واقف أعلق عليها أبصارى وأنتظر
جوابها وكانت كل حياتى معلقة على شفيتها .

فقلت : اصغى إلى . إن قدومك إلى كان
مجازفة ، فيجب ألا يعلم أحد أنك أتيت من أجل
وسوف أعهد إليك بمهمة تقوم بها ، فاذا ما رأيت
السفر فى هذه المهمة طويل الأمد فلك أن تقصره ؛
ولكن إلى حد ، وعلى كل حال أرى سفرك إلى
حين سيسكن من اضطرابك

إنك ستذهب إلى « الفوج » ومنها إلى
ستراسبورغ وعندما تعود بعد شهر أو على الأصح بعد
شهرين تطلعن على نتيجة مهمتك وعندئذ أتمكن من
أن أعطيك جوابى بأصرح مما يمكننى أن أفعل الآن
(ينبع)
فيلكس فارس

اليوم عن إعلان هذا الحب لك ؟ إن ما أرمى
الصمت إنما كان خوفاً من فقدك وحرمانى من
الاجتماع بك ، وهذا الذى حاذرت قد وقع . فأنا أراضى
بشرطك على أن توحدى بابك فى وجهى إذا
ما بدرت منى بادرة تنحرف عن احترايى الشديد لك .
لقد تمكنت من السكون فيما مضى فلن أنكلم بعد
الآن . أنت تظنين أننى أحببتك منذ شهر . لا ، لقد
أحببتك منذ أول يوم . وأنت عرفت حبى فما دعاك
ذلك إلى منى من مشاهدتك . فاذا كنت فى هذه
الأنواء واثقة من أن حرمتك لن تجزلى أن أسى
إليك فلماذا تفقدينى هذه الثقة اليوم ؟ لقد أتيت
مطالباً بهذه الثقة فما الذى ارتكبته تجاهك ؟ ألا أننى
طويت ركبتى على الأرض دون أن أنبس بكلمة
أعد جانباً ؟ وهل عرفت من هذه الحركة شيئاً كنت
تجهليه قبلها ؟ لقد وهنت قواى لأننى كنت متأملاً
فاصغى إلى ياسيدي . إننى فى العشرين من عمرى ومع
ذلك فقد رأيت من الحياة ما أورتنى كرهها حتى
غدوت لا أرى لى فيها مقاماً أرتاح فيه ، لا بين الناس
ولا فى العزلة والانفراد ؛ وليس لى من مستقر أتنفس
الحياة فيه إلا هذا المدى الذى يحده جدران حديقتك .
إنك دون سواك الكائن الذى أومن قربه بالله .
ولقد كنت أعرضت عن كل شئ قبل أن عرفتك ،
فلماذا تريدن حرمانى من الشماع الوحيد الذى منحنى
الله إياه من الشمس ؟ فاذا كان الخوف يدعوك إلى
هذا الاحتياط فهل أتيت ما يبرر هذا الخوف ؟ وإذا
كان سببه نفرة منى فبأى عمل استحققت هذا النفور ؟
أما إذا كان ما دعا إلى هذه المعاملة إشفاقاً على
ما احتملته من الآلام فأنك منخدعة فى اعتقادك بإمكان
شفائى . لقد فات إمكان الشفاء منذ شهرين ، ولكننى
فضلت أن أحتمل آلامى بقربك . ولست بنادم الآن
ولا غداً على هذا مهما فعلت فى الأيام . إن الشقاء



هو ميروس



الأوديسيّة

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

ملخص الفصل السابق

« بعد أن وضعت الحروب الطراودية أوزارها عاد الأبطال اليونانيون إلى ديارهم ما عدا أوديسيوس ملك إيتاكا، وكانت زوجته بنلوب من أجل غادات هيلاس فطمع في التزوج منها جميع أمراء البلاد، ولكنها وفت لزوجها ولولدها تلياك فطمتهم ولكنهم حاصروا بيتها ليرغموها على تغير واحد منهم بملأها، ولما شب تلياك أخبر إلى يياوس وأسرطمة ليبحث عن أبيه وقد أخبره ملك أسرطمة أن أباه ما يزال سجيناً عند عروس البحر كاييسو - وقد غيظ العشاق لما علموا بسفر تلياك فترصدوا له ليقناله في عودته . أما أوديسيوس فقد سافر من عند كاييسو بأمر كبير الآلهة نريوس على رمث فل ينق به عباب البحر حتى كاد يفرق بالقرب من شاطئ مملكة شيريا بلاد الفياشين، وقد نجح بعد جهد ولقى ابنة الملك تلعب وتلهو في ررب من أثرها فسألها أن تدله على بيت الملك فدلته عليه ، ولقى ثمة الملك ألكينوس الذي أكرم مشواه وأقام له حفلاً رياضياً تبجلاً له ، وقد أبدى أوديسيوس في هذا الحفل من ضروب القوة ما بهر القوم ولكنه بكى طويلاً حينما سمع المُنشد الأعشى - منرب الملك - ينشد ما حدث عن طراودة وينفى بشجاعة أوديسيوس؛ فلما سأله الملك من هو وما سبب بكائه أخذ يسرد

قصته منذ غادر طراودة وكيف غزا إزماروس وما كان من أصحابه في بلاد الموثوفاجي - أكلة الموتى - ثم ما كان بعد ذلك من حبسهم في كهف السيكلوب ونجاتهم منه بعد أن أكل منهم عدداً كثيراً - ثم ما حدث لهم في أرض المردة الآخرين ، ورسومهم بجزيرة رية البحر سيرس وكيف سخرت بعض أصحابه إلى خنازير ثم ذهب لأتقاهم من سحر هذه الربة وغرامها به ثم نصيحتهما له أن يرحل إلى الدار الآخرة للقاء الكاهن الطيب تيزياس ليعرف له عن مستقبله ورجوعه إلى بلاده - وهو في الفصل التالي يذهب كيف قام بهذه الرحلة إلى هيدز وكيف لقي الكاهن ولقى روح أمه . . . الخ »

رحلة أوديسيوس إلى الدار الآخرة

« وذهبنا إلى الشاطئ ، فأنزلنا القلح إلى الماء ، ثم أصلحنا القلاع ونشرنا الشراع ، ووضعنا القرايين على السطح ، وذرقنا من الدموع ما شاءت لنا الهموم والآلام . . . وأقلعنا . . . وأرسلت سيرس

بين أيدينا ريحا رخاء كانت خير معوان لنا وخير رفيق في سفرتنا الرهيبة هذه، حتى أتركنا لها مقاليد الفلك، وأنسَدَحْنَا^(١) فوق السطح من غير ما عمل. ولم تزل تجرى بنا طول هذا اليوم حتى إذا أوشكت الشمس أن توارى بالحجاب، وقارب الغلام أن يلقى أرواده على الكون الهادي، أشر فناعلى تخوم البحر الأعظم، حيث تنهض مدينة السمرين التي ينمقد من فوقها دَجَنٌ^(٢) كئيف وظلمات داجية، فلا تنغد إليها شماعة من نور، ولا يحيطها رسول من شمس هذه الدنيا العاملة الدائبة، التي يسطح في سماواتنا ركبها الفخم؛ فهي أبداً في ليل متصل مد لهم، لا تنجاب عنها غواشيه. وهنا، ألقينا مراسينا، وأزلنا الكبش والشاة إلى البر، وانطلقنا فوق سيف البحر إلى حيث أمرتنا سيرس الإلهية، وتركنا يوريلوخوس بن برميد عند القربانين، وعنيت أنا باحتفار الوهدة فجعلتها ذراعاً في ذراع، ثم شرعت أصب تقدمات الشراب باسم الموتى، فبدأت بمزيج اللبن والعسل المصفى، وأتبعته بالخمر المعتقة؛ وتلدت بالماء القراح؛ ثم تثرت على ذلك كله دقيق الشعير؛ وصلت من أجل الموتى، ونذرت — إن عدت إلى إيثاكا — أن أنهي لهم بمجل جَسَدِ ذِي خوار يكون أسمن وأقوى ما في قطعاني؛ أذبحه وأحرّقه في نار مجللة بكل ما يشوق الأشباح من أرواح وطيوب. وخصصت الكاهن الطبي (تيرزياس) فنذرت أن أنهي له بأحسن كباشي وأعظمها مئة. ثم شمعت عن ساعدي، وذبحت القربانين، فتدفق الدم في الوهدة... وهنا... أهرعت الأشباح

من كل فج، وأقبلت مهطعة كأسراب الدبى... يا لآلهة!! هنا، ذرافات العذارى جرعن كأس الحام في ميعة الصبا؛ وهنا، جموع الشباب اليانع كأفواف الزهر غلهم عادي الردى؛ وثمة، عرائس سادرات تسربلن سواد الحزن، فجأتهن المنايا ليلة الرقاق؛ وهناك، أطفال كأكم الورد لما تفتح قطعتهم أيدي النون؛ وعن كشب، وقفت كواكب المحارين الذين لطحوا بالدماء وجه البسيطة... والآباء والأمهات والأجداد... أقبلوا يتدافعون نحو الوهدة صائحين صاخبين، قاذفين في قلوبنا الرعب... ثم إنى هتفت برجالى فشرعوا يحرقون القرائين ويصلون لرب هذه الدار — يلو تو — ولزوجته، ورحت أنا أذود الأشباح الهائمة عن دم الضحايا بسيفي أضرب به ههنا وههنا، حتى لمحت روح رفيقي إليفور^(١) الذي تركناه في أرض سيرس دون أن نقيم له شعائر الموت لما كنا بسبيله من هموم... لمحت روح رفيقي فتصدعت، ثم ذرفت عبرات وعبرات، وكلمته قئلاً: «إليفور! يا صديقي! كيف وصلت إلى ظلمات هذه الدار الآخرة في مثل هذه السرعة، ولم تحملنا إليها سفينتنا إلا بعد لآي؟ عمرك الله هل سبحت في الهواء؟ أم طويت إليها الرحب ماشياً؟» وأنهمرت من عينيه دموع ودموع. ثم قال يجيئني: يا ابن ليرتيس النبيل، المعروف في المالين بالحكمة ودقة الفهم، لقد أودى بي السكر فسقطت من سطح سيرس فددق عنقي، وأسرعت من ثمة على درج الظلمات إلى هيذر... على أننى أستحلفك بكل عزيز عليك، بينلوط، بالنار المقدسة

(١) الثمل الذي سقط من السطح فوق عنقه (الفصل السابق)

(١) انسدح نام وفرج بين ساقيه.

(٢) السحاب المظلم

فيها لعدواً لدوداً يتأثر ك ، ذلك هو نيتيون الذي أسخطته بما سمكت عين ولده السيكلوب (بوليفيم)؛ على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ، فإنك إن كبحت جراح شهواتك ، أنت ومن معك ، فإنك واصل يوماً إلى شيطان تريناشيا ، وتكون قد أفلت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت ثمة ، فاحذر أن تمس قطمان رب الشمس الساعمة في الجزيرة بأذى إن كنت جد حريص على العودة إلى بلادك سالماً ، مهما اقتحمت بعد ذلك من عذاب وعقاب . فإذا مسها منكم أحد بأذى ، فويل لكم جميعاً ! إن فلكن تنوص إلى الأعماق ، ويفرق رجالك أجمعون ؛ أما أنت فتنبجو بعد جهد ، وتلتقطك سفينة عابرة وتعود بك بعد شقاء وبلاء ، وعناء أليما عناء ، إلى وطنك الذي ينتظرك فيه ألف ويل وويل ! ستجد قصر ك النيف محتلاً بطغمة أشرار من عشاق زوجك الوفية لك ، يُريغون خبرك ويُذبحون شاءك ، ويُغشون بنلوب بالعطايا والرشي لتختار من بينهم بعلًا لها . . . ولكنك ستنتقم منهم وتنتصف لما قدموا من سوء ، وستبذل جموعهم ؛ فإذا تم لك النصر عليهم فانطلق من فورك إلى الشعب الذي لم ير البحر أحد من أهله ولم يذق الملح أحد منهم قط ، وليكن معك مجذاف عظيم يدلك عليهم فإنهم إن رأوه عجبوا من منظره ، وظنوه مذراة مما يذرى به القمح ؛ فإذا عرقهم فاغرس المجذاف في أرضهم ، وضح لنيتيون رب البحار بمجمل جسد وكبس سمين وخنزير كناناز^(١) ، ثم تبثل إليه وأخبت ، وانطلق إلى وطنك ، وضح بأحسن

التي تتأجج عن قلبها حياتك ، بولدك الأوحد تلياك أن تجمع ما تبقى من سلاحى وعتادى إذا عدت إلى أرض سيرس ، وإنك إليها لعائد حين ترجع أدراجك من عالم هيدز ، وأن تحرق جثمانى فى نيران هذا العتاد ، ثم تصلى لى ، وتضرع للآلهة من أجلى حتى أقر هنا ، وتهدأ فى تلك الظلمات روحى ، وأن تغرس فوق الكومة التى تشمل رفاى ، مجدافى العزيز الذى عملت به فى البحر تحت إمرتك ، وفى ذرى سلطانك وقيادتك ، حتى يذكرنى فى العالم الفانى اذا كرون . ووعده أنى فاعل . ثم لم أزل أذود الأشباح عن الدماء المتدفقة . ونجاة لحت بين أرواح الموت شبح أمي ؛ أمي المحبوبة أتتكلىا ابنة الشجاع أوتوليكوس ، التى تركتها يوم يمت شطر طروادة قوية « شابة » غريضة الصباريئة الشباب . وما وقعت عيني عليها حتى أجهشت وأجهشت ، ثم انهمرت من مقاتى أحر العبرات . . . ومع ما كان يعتلج به صدرى من الأسى عليها ، فقد ذدتها عن الدماء كذلك ، وبى من المم لتلك القملة ما أوهنتى وأضوانى . ثم أقبل بنو طيبة وكاهنبا الجليل ، يتوكأ على عصاه الذهبية ؛ وما كاد يحملق فى قليلا حتى عرفنى وخاطبنى يقول : « لم غادرت الدنيا الدافئة المشرقة أم هذا التعس ، وقدمت لترى هؤلاء الموتى ولتضرب فى ظلمات هذا العالم العبوس ؟ ! ولكن نرح هذا السيف قليلا حتى أجبرع من تلك الدماء ، وإنى لمحدثك حديث الصدق عما جئت من أجله . » وأغمدت سيفى ، وانحنى الكاهن فعب من الدماء ماشاء ، ثم نهض فقال لى : « أوديسوس ؛ إنك تجتهد أن تعود أدراجك إلى بلادك ، غير أن طريقك إليها مخوفة بالكاره ، ممتلئة بالمقبات ؛ وإن لك

تجشمت الأهوال الثقال منذ توجهت مع أجامنون
 للقاء أبناء طروادة . . . وهأنذا منذ ذلك اليوم لم
 تطأ قدماى أرض وطنى . . . ولكن . . . نبشئى يا أماء
 أية ضربة أودت بحياتك الغالية ؟ هل سفك
 دمك أحد ؟ أم أصالك سهم من ديانا ؟ . . . وحدثني
 كذلك عن أبى السند الشيخ ، وعن ولدى تليماك ،
 وحدثني عن ملكي وعتادى ، هل غلب عليها أحد
 من سادات البلاد ، حين يئس الكل من عودتى ؟
 وخبرنى عن زوجى ، أما تزال تعيش مع ولدى
 مخلصه وفيه لى ، أم تزوجت من أحد أمراء
 هيلاس ؟ ! » وقال الشيخ الكريم بحيني : حاشا يا بنى !
 إنها لا تزال وفيه لك ، مبقية على ذكراك ، مقيمة
 فى قصرك ، وإن تكن تقضى ليايلها وأيامها فى
 حزن ممض عليك ، ودموع جارية من أجلك ،
 وآلام ماتنهي لبعذك . أما أملاكك فما تزال لك ،
 وما يفتأ ولدك يغلها باسمك ، وما يفتأ يغشى الولائم
 فى أبهة الأمراء ، ورؤاء الأماثل العظماء ؛ ولم يزل
 أبوك مقيما فى مزارعك ، عزوقا عن المدينة
 وبهرجها ، وأرائك القصور وزرايها ، وهو يقضى
 أيامه يصطلي نار المدفأة فى الشتاء ، قهبا على فروته
 الفقيرة المتواضعة ، غارا فى أعماله ومزقه ، فإذا جاء
 الصيف ، أو جنأه الخريف ، اعتكف فى ناحية ،
 وانطرح على المشيم المساقط من الأشجار ، وراح
 يعالج من الحزن عليك ، والبكاء بسيلك ، ما يوهيه
 ويضنيه ، طوال تلك السنين السوالف ؛ وهكذا
 هلك أنا الأخرى من طول التفجع عليك ،
 والتصدع من أجلك ، فلا ديانا أصمت فؤادى بسهم
 ولا اعتدى على معتد . . . بل الحزن وحده

ما تملك من الشاء والنعم للآلهة ، وصل لكل
 منها واخشع ، تعيش آمنا غائما ، وتمت بعد حياة
 هادئة موة قريرة ناعمة بعد حكم عادل طويل ،
 وشيوخوخة هائلة موفورة . . . هذا من أبناء الحق
 عرفتها لك . »

وقلت له : « أنا لا أكذبك يا تيرزياس فيما
 كشفت لى من أبناء الغيب ؛ ولكن حدثني
 جعلت فداك : إني ألمح شبح أمة جائما بالقرب من
 الدم دون أن تتعطف بكلمة واحدة على ابنها الحبيب .
 فمن ذا الذى يشمرها أنى - أنا ابنها الأوحده - قريب
 منها ! » فقال : « لا أيسر من ذلك يا بنى ! فانك
 إن تركت أيما من هذه الأشباح يرشف رشفة من
 ذاك الدم ، فإنه يتحدث إليك بعد ، وينبئك بما
 تشاء . » ثم غاب شبح الكاهن فى ظلمات مملكة
 بلوتو ، وسمرت أنا مكاني أنتظر شبح أمة ، التى
 ما كادت تذوق الدم حتى عرفتني ، وانطلقت
 تكلمنى فى ترفق وحنان : أى بنى كيف أتيح لك
 الضرب فى دياجير هذه الدار الآخرة وأنت ما تزال
 حيا تدب على رجلحك ؟ ! ألا ما أشق هذا على بنى
 الموتى من أهل الدار الأولى : إن ههنا أنهارا من
 حميم يدور بعضها على بعض ، وقد تطنى على شطآنهما
 بعباب حمى ، ويحيط بها البحر الأعظم الذى
 لا تشق أجياله فلك ، بله قدم سائر عابر ! أوأه !
 لقد ذرعت البحار شرقا ومغربا فى رحلتك من
 اليوم ، أنت ومن معك ، ولما تصل إلى إيتاكا
 العزيزة ! » وسكتت قليلا ، فسألتها : « الظروف القاسية
 وحدها يا أماء هى التى قدتني إلى مملكة بلوتو ،
 ليعرف لى الكاهن الصالح الطيبى تيرزياس ، ولقد

أشهر الدنيا - قد كان مشغوقاً بها حباً ، وأنها طالما كانت تغشى شطآنه النضر ، وشمائله الحضر ، من أجل ذلك . وأنها كانت يوماً تلعب هناك ، فإذا شبح جميل كأنه شبح حبيبها يظهر فجأة ثم يأخذها بين ذراعيه ، ثم يعلو طوفان من اليم فيطويهما معا ، ثم تفيق فتري نفسها بين ذراعى نبتيون الجبار رب البحار الذى يشا كيبها غرامه هو الآخر ويحبها حبه ، ولاعج قلبه ، ثم يهوى بها إلى أعماق مملكته السحيقة ، ويعاشرها كزوجة ، ثم يرسلها بعد أن يوصيها بولديه التوأمين منها ، ثمرة الحب السرمدى المقدس ويفوص فى اليم . وتعود هى إلى بلدها فتضع ولديها العظيمين - وزيرى جوف الأكبر - بلياس ونليوس - ويشب بلياس ويضرب فى الأرض ، فينتهى إلى مروج إيلو الخوس ويرعى ثمة بهمه وقطعانه ؛ أما نليوس فيسكن البلقع الجذب من أرض بيسلوس وتزوج من كريتيوس بعد ذلك كله ، فتنجب منه أبناءها الثلاثة الآخرين^(١) ، ذوى الشهرة والمجد . ثم كملت انتيوب ابنة آسوب التى راحت تفخر بما كان بينها وبين جوف - كبير آلهة الأولب - من هوى وصباة وحب ، وأنها أنجبت له ولديه العظيمين أمفيون وزيتوس منشئى طيبة العظيمة ذات القلاع والتلاع والأبواب السبعة ولقيت بعدها ألكمينه ابنة أمفيريون حبيبة جوف ، وأم هرقل الحديدي الجبار ولقد ذكرت لى أنها تزوجت من كريون بعد ، فأنجبت له ابنته ميجازا ، زوجة ابن

يا أوديسيوس ، والوحشة والضنى ، وطول الوجد ، وذكراك فى كل حين ؛ كل أولئك يابنى اختضر عود حياتى ، وعجّل إلى مماتى ! » وما كادت تفرغ من حديثها حتى أزرقت^(١) إليها أود لو ضممتها إلى صدرى ، بيد أنى فشلت مرة وأخرى وثالثة ، إذ كانت تنفث فى كل مرة من بين ذراعى كما ينفث الظل . أو كما يسرى الحلم . ولم أطق على ذلك صبراً فقلت لها : « لماذا تأبين على عناقتك يا أماء وقد تتداوى به مما بنا من شجو ، ولو كنا هنا فى مملكة بلوتو ؟ : أم باترى أرسلت إلي برسفونيه شبحاً يعبث بى ويتضاحك على ؟ ! » قالت : « أواه يابنى ، يا أنعس بنى الموتى ! أبداً ما حاولت ربة هيدز أن تعبث بأحد ، ولكنها طبيعة الموتى هنا ، فهم لا عضل ولا لحم ولا عظم . ولا مازهدت به النار بعد الموت فى الدار الأولى بل هم أرواح تشبه الظلال أو الأحلام فى خفتها وسرعة انفلاتها ولكن هلم فعد أدراجك إلى النور فلقد جاءك من الحق ما هو حسبك » . ثم هممت حولى أشباح العذارى والأزواج من بنات هيدز ، سبعين من عند برسفونيه ، فامتشقت سيفي ، وطففت أذودهن فلا يقربن الدم إلا باذنّى ، واحدة بعد واحدة ، لتقص على كل منهن قصة حياتها . ولقد كملت أول من كملت تيرو^(٢) الحسناء ، كريمة المحدث ، طيبة الأعراق فذكرت لى أنها ابنة سالون وزوجة كريتيوس بن إيولوس - وأن أينپوس إله السلسيل ، أعذب

(١) أسرع

(٢) لم نشأ أن نغفل أحاديث أوديسيوس مع بنات هيدز كما فعل بعض مترجمي هومر ، بل آثرنا إنبائها كما هى ، ونحن نجل الفارسي عن الملان لأن الأوديسة أعلى من أن تقل

ما تمتعت ثمة قليلاً ولا كثيراً ، فقد أصمتها ديانا الفادرة
بسهامها ، وشهد فعلتها المنكرة بأخوس العظيم ...
في ديا

ورأيت ميلاً ... وكليمنيه .. وإريفييل التاسعة
التي قبلت أن تنال ثمن روح زوجها من الذهب
والآن !! وقد أوشك الليل أن يلقي علينا طيلسانه
فما أحسبني أستطيع أن أحصى زوجات الأبطال
العظام وبناتهم اللائي لقيت في هيدز ، فخذوا أمر
الملك فأنطلقت لأستريح في سفيني ... أو هنا إن
أذن ... وكلّي ثقة فيكم ، وإيمان بالآلهة ، أنكم
ستدبرون أمر إبحاري إلي وطني حتى الصباح ...
درييني غشبة (ينبع)

تاريخ الأدب العربي

للدكتور أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمنه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

أمفريون ... ؟ ؟ ... ولقيت الحسناء أيبكاست (١)
أم أديبوس الملك التاسع ، الذي تزوجها وهو لا يدري
أنها أمه ، بعد أن ذبح أباه ، فصبت عليه السماء
سياط عذابها ، وذهب على وجهه في الأرض حيران ؛
أما أمه ، فقد سبقت روحها إلى هيدر بعد إذ شنت
نفسها في سقف بيتها ، تاركة ولدها لربات العذاب
يسمنه الخسف ويجرعه الأوصاب ... ولقيت الفادة
الحُسَّان خلوريس التي هام بها نليوس وثر تحت
قدمها هداياه ، فأسلست له ورزق منها أبناء الثلاثة
نسطور وخروم وپركل ، الميامين ذوى المجد ...
ثم كلمتني ليذا زوجة تندار ، أم كاستور الصنديد
ويوللكس الملاكم العتيد ، إنهما يتعمان بنعمة زيوس
أبي الآلهة ، فهما يتبادلان الموت والحياة ، سنة
فسنة (٢) ، وفاء منهما ومحبة وإعزازاً ... ؟ ...
ثم رأيت إفيميديا الحبيبة التي نغرت بهيام نيتيون
والتي أنجبت له طفليه الجميلين أوتوس وإفالت اللذين
بزا بجاهلها كل من دب على وجه الأرض ، باستثناء
أوريون ... يا لهما من طفلين !! لقد شبا نيران
الحرب على آلهة السماء وحاولا رفع أوسا إلى قمة
الاولب فجعلوا بليون على أوسا ركما ، وقد أوشكا
أن يفلحوا لولا أن ذبحهما نريوس وولده أبوللو ليكونا
عبرة لغيرهما ... فيا للموت ! هذا المعتدي على شبابهما
الفض فأذبل الحدود وأذوى الورود !

ورأيت بعد ذلك فيدرا ، ولقيت آريادن المقتان
وبروسيز اللعوب ، أما آريادن فقد حملها ثيديوس من
كريت إلى فراديس أثينا ... ولكن وأأسفاه ! إنها

(١) جوكستا

(٢) وردت عنهما أسطورة رائعة سنشرها قريباً

(طبعت بمطبعة الرمان والرواية بشارع المهدي عمارة عميم رقم ٧)